

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
الأمانة العامة
الشؤون العلمية

كتاب
أصول الأدلة
في ضوء الكتاب والسنة

إعداد
نخبة من العلماء

ح) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة /إعداد نخبة من العلماء - المدينة المنورة .

٣١٢ ص، ٢٣٧١٦ م

ردمك : ٩٩٦٠-٨٤٧-١٥-٢

١- العقيدة الإسلامية ٢- الإيمان (الإسلام) ١٣ - العنوان

٢٠ / ٤٠١٠ ديني ٢٤٠

رقم الإيداع : ٤٠١٠ / ٢٠

ردمك: ٩٩٦٠-٨٤٧-١٥-٢

مُقْدَّمَة

بِقَلْمِ مَعَالِيِ الشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ
وَزَيْرِ الشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ وَالدُّعَوَةِ وَالْإِرْشَادِ
الْمُشْرِفِ الْعَامِ عَلَىِ الْجَمْعِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْفَاعِلُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ «أَدْعُ إِلَىِ سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» [النَّحْل: ١٢٥]. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىِ
أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الْفَاعِلُ: ((بَلَغُوكُمْ عَنِي وَلَوْ آتَيْتُكُمْ)) [الْبَخَارِي]:
[٣٤٦١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّفَادَّاً لِتَوْجِيهَاتِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ الْمَلِكِ فَهْدَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ آلِ سَعْوَدَ - حَفَظَهُ اللَّهُ - فِي إِيصالِ الْخَيْرِ إِلَىِ عَمَّوْمِ الْمُسْلِمِينَ فِي
مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِهَا، بَدِئًا بِالْعُنَيْدَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ عَلَىِ تِيسِيرِ نَشْرِهِ،
وَتَرْجِمَةِ مَعَانِيهِ، وَتَوْزِيعِهِ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ، وَالرَّاغِبِينَ فِي دراستِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ
نَشَرَ مَا يَنْفَعُ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ شُؤُونِ حِيَاةِ الْمُجْمَعِ وَالْمُنْدَنِيَّةِ.

وَإِيمَانًا مِنْ وَزَارَةِ الشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ وَالدُّعَوَةِ وَالْإِرْشَادِ مِثْلَةِ
فِي بَعْضِ الْمُلَكَاتِ فَهْدَ لِطَبَاعَةِ الْمَصَنُوفَ الشَّرِيفِ بِالْمَدِينَةِ النَّبُوَيْةِ، بِأَهْمَيَّةِ الدُّعَوَةِ
إِلَىِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَىِ بَصِيرَةِ فَإِنَّهُ يَسِّرُهَا أَنْ تَقْدِمَ كِتَابًا:
((أَصُولُ الْإِيمَانِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضِيَّةً إِذَا صَاحَتْ صَالِحُ الْجَسَدِ كُلُّهُ)) [البخاري: ٥٢]، وستتبعه إن شاء الله تعالى سلسلة من الكتب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بإعداد الكتاب (تأليفاً، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامة للمجمع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا - أمّة الإسلام - خير أمّة، وبعث فيها رسولاً مّا يتلو علينا آياته ويزكيانا، ويعلّمنا الكتاب والحكمة، والصلة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبّينا محمد وعلى آله وصحبه،

أما بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّاً وَالْإِنْسَاً إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦). ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذة من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدانها يكون فساده وخرابه واحتلاله، كما قال الله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» (الأنياء: ٢٢)، وقال سبحانه: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَمْرَ بِمَا يَشَاءُ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» (الطلاق: ١٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولمّا كان غير ممكن للعقل أن تستقلّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله

رسَلَهُ وَأَنْزَلَ كِتَبَهُ؛ لِإِيْضَاحِهِ وَبِيَانِهِ وَتَفْصِيلِهِ لِلنَّاسِ حَتَّى يَقُومُوا بِعِبَادَةِ اللهِ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَأَسْسٍ وَاضْحَى وَدِعَائِمٍ قَوِيمَةٍ، فَتَبَاعِيْرُ رَسُلُ اللهِ عَلَى تَبْلِيغِهِ، وَتَوَالِيَّا فِي بَيَانِهِ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: **﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّا فِيهَا نَذِيرٌ﴾** (فاطر: ٢٤)، وَقَالَ سَبْحَانَهُ: **﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَا رُسُلًا تَنَزَّلُ﴾** (الْمُؤْمِنُونَ: ٤٤)، أَيْ يَتَّبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى أَنْ خَتَّمْهُمْ بِسَيِّدِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ وَإِمَامِهِمْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ ﷺ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَّ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّهُ جَهَادَهُ وَدَعَا إِلَى اللهِ سَرَّاً وَجَهْرًا، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ أَكْمَلَ قِيَامًا، وَأَوْذَى فِي اللهِ أَشَدَّ الْأَذَى، فَصَرِيرَ كَمَا صَرِيرَ أُولُو الْعِزَّمِ مِنَ الرِّسُلِ، وَلَمْ يَزِلْ دَاعِيًّا إِلَى اللهِ هَادِيًّا إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ حَتَّى أَظَهَرَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ بِهِ النَّعْمَةَ، وَدَخَلَ النَّاسَ بِسَبِبِ دُعَوَتِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَلَمْ يَمُتْ ﷺ حَتَّى أَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ وَأَتَمَّ بِهِ النَّعْمَةَ، وَأَنْزَلَ فِي ذَلِكَ سَبْحَانَهُ قَوْلَهُ: **﴿أَلَيْوَمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾** (الْأَنْعَمَ: ٣).

فَبَيْنَ صَلَوَاتِ اللهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ الدِّينِ كُلِّهِ أَصْوَلَهُ وَفَرُوعَهُ، كَمَا قَالَ إِمامُ دَارِ الْهُجْرَةِ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ رَحْمَهُ اللهُ: «مُحَالٌ أَنْ يُظْنَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ عَلِمَ أُمَّتَهُ الْأَسْتِحْجَاءَ وَلَمْ يَعْلَمُهُمُ التَّوْحِيدَ».

وَقَدْ كَانَ ﷺ دَاعِيَةً إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لِهِ وَنَبْذِ الشَّرِكِ كُلِّهِ كَبِيرِهِ وَصَغِيرِهِ شَأْنَ جَمِيعِ الْمَرْسُلِينَ؛ إِذَا أَنَّ الرَّسُلَ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ، مُتَضَافِرُونَ عَلَى الدُّعَوَةِ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ مُنْطَلِقٌ دُعْوَتُهُمْ وَزَبْدَةُ رِسَالَتِهِمْ وَأَسَاسُ بَعْثَتِهِمْ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْمَدُوا إِلَهَهُمْ وَأَجْتَنِبُوا الظَّغْفُوتَ فِيمَنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمَنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الْأَصْلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** (النَّحْل: ٣٦)، وَقَالَ:

» وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ « (الأنياء: ٢٥)، وقال تعالى: » وَسَلَّمَ مَنْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَّلْنَا مِنْ دُونِ الْرَّحْمَنِ إِلَهَهُ يُعْبُدُونَ « (الزخرف: ٤٥)، وقال تعالى: » شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّيَ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا إِلَهَيْنَ وَلَا نُنَفِّرُ قَوْفَافِيهِ « (الشورى: ١٣).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الأنبياء إخوة لعَلَّات، أُمَّهَا هُنْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)^(١)، فالدين واحد، والعقيدة واحدة، وإنما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قال تعالى: » لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ « (المائدة: ٤٨).

ولذا ينبغي أن يكون متقرّراً لدى كلّ مسلم وواضحاً لدى كلّ مؤمن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنما الواجب على كلّ مسلم في مشارق الأرض وغارتها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكيك أو تردد، » أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُلُّهُمْ وَرَسُولُهُ لَا نُنَفِّرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُقْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ « (البقرة: ٢٨٥).

فهذا شأن المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلام، ويتتحقق له الأمان والأمان، وتزكيه نفسه، ويطمئن قلبه، ويكون بعيداً ثاب بعد عمّا يقع فيه ضلال الناس

(١) صحيح البخاري (٣٤٤٣)، و صحيح مسلم (٢٣٦٥).

بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحيرة وتذبذب.
والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السليمة وقواعدها
المتينة هي - دون غيرها - التي تحقق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيا
والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحة دلائلها، وسلامة براهينها وحججها،
ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السوية.
ولهذا فإنَّ العالم الإسلامي كله في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافية
النقية؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقرٌّ بخاته الذي عنه لا تدور.

وفي هذا المؤلَّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهمَّ أسُسُها
وأبرَّأَ أصولها ومعالمها مما لا غنىَّ لسلم عنه، ويجد ذلك كله مقروناً بدليله، مدعَّماً
بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي
أصول عظيمة موروثة عن الرسُّل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكلَّ ممِيزٍ من صغيرٍ
وكبيرٍ أن يُدركها بأقصر زمان وأوْجز مدةً، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة
ننقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بن
سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن
عامر الرحيلي. كما نشكرَّ الذين قاماً بمراجعةه وصياغته وهم: الدكتور علي بن
محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

وإِنَّا لنرجوَّه سُبحانَه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانَا أنَّ الحمدَ لِللهِ
ربِّ العالمين.

الأمانة العامة

بجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشروع والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعمتها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧). وقال تعالى: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا» (الإسراء: ١٩).

وقال تعالى: «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا فَدَعْهُ عَمِيلَ الصَّلِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الْدَّرَجَاتُ الْعُلُى» (طه: ٧٥). وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا» (الكهف: ١٠٨، ١٠٧). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنّة على أن الإيمان يقوم على الأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنّة النبوية في مواطن عديدة. منها :

١- قوله تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي

نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُنْتِهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا » (النساء: ١٣٦).

٢- قوله تعالى: « لَيْسَ الَّذِي أَنْوَى وُجُوهُكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الَّذِي مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالنَّيْنَيْنَ » (البقرة:
١٧٧).

٣- قوله تعالى: « ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُنْتِهِ، وَرَسُولِهِ لَا فُرْقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا عَفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْمَصِيرُ » (البقرة: ٢٨٥).

٤- قوله تعالى: « إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ » (القمر: ٤٩).

٥- وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل أن جبريل سأله النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن
تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره
وشره) ^(١).

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا
 بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض،
 فالإيمان بعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.
 ولذا كان متاكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنایته واهتمامه بهذه
 الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيمما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

(١) صحيح مسلم برقم (١).

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله عز وجل هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنًا، وأعلاها قدرًا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوع أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى ربٌّ كلٌّ شيءٍ وملِيكٌ وحالُهُ ورازُقُهُ، وأنَّهُ الحيُّ المميتُ النافعُ الضارُّ، المُتَفَرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمرُ كُلُّهُ، وبِيدهِ الخيرُ كُلُّهُ، وإليه يُرْجعُ الأمرُ كُلُّهُ، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله وحده بالذلٍّ والخضوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله تعالى بما سمي ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنزييهه عن النقصان والعيب وعما تهمَّلُهُ الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلٍّ شيءٍ عليه، وعلى كُلِّ شيءٍ قدير، وأنَّهُ الحيُّ القيُّومُ الذي لا تأخذُه سِنةٌ ولا نومٌ، له المشيَّة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه السَّمَّاَلِكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ

المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحانه الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام ثلاثة دلائل كثيرة من الكتاب والسنة. فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، أفاد هذه الحقيقة الشرعية، وهي أنَّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن لم يأت بهذا جميـعـه فليس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقسم من هذه الأقسام :

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولاً: تعريفه :

أ- لغة : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الرب، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمُصلح.

ب- أما في الاصطلاح : فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله. ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعم والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ثانياً: أداته :

أ- من الكتاب : قوله تعالى: « خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَقُّبَهَا وَالْقَمَرَ فِي الْأَرْضِ رَوَسِيَّاً أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبْيَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْفٌ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، بَلِ الْأَظْلَامُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (القمان: ١٠، ١١). وقوله تعالى: « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ » (الطور: ٣٥).

ب- من السنة : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله ابن الشخير رضي الله عنه عنه مرفوعاً وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى ..). وقد ثبت في

الترمذى وغيره أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي وصيَّتِهِ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((... وَاعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ، رَفَعَ الْأَقْلَامَ وَجَفَّتِ الصَّحَّفَ))^(١).

ج - دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكير في آيات الله الدالة عليه. وللننظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَقِنَفِسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ وَقَنَسِنَ وَمَاسَوْنَهَا ﴾ (الشمس: ٧)، وهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيمًا خبيرًا، إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها؟ أو أن يحوّلها إلى علقة، أو يحول العلقة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاماً، أو يكسو العظام لحماً؟

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعرف بـ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته ، قال الله تعالى: ﴿ سَرُّهُمْ أَيَّتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقَّ يَبَيَّنَ

(١) سنن الترمذى (٢٥١٦)، ومستند أَحْمَد (٣٠٧/١)، وقد حسن الحديث الترمذى وصححه، وصححه الحاكم.

لَوْمَهُ أَنَّهُ مَحْقُولٌ أَوْ لَمْ يَكُفِّرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (فصلات: ٥٣).

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقاً لهذا الكون، موجداً له مدبرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغفل فكره في بذائع الكائنات علم أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوماً أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمة الله: «أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟». فقالوا: «هذا محال لا يمكن أبداً». فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟».

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفريده.

المبحث الثاني:

بيان أنَّ الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم، ولذا فإنَّه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية. ولذا يقول الله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (يوسف: ١٠٦)، والمعنى أي: ما يقرُّ أكثرهم بالله ربًا وحالقا ورازقا ومدبرا - وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تنع. وبهذا المعنى للاية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهم: «من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا : الله وهم مشركون». وقال عِكْرِمَةَ: «تسألهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ وَمِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَذلِكَ إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ، وَهُمْ يَعْدُونَ غَيْرَهُ». وقال مجاهد: «إِيمَانُهُمْ قَوْلُهُمْ: اللَّهُ خَالقُنَا وَيَرْزُقُنَا وَيَمْتَنِنَا فَهَذَا إِيمَانٌ مَعْ شَرِكٍ عَبَادَهُمْ غَيْرُهُ».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: «ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أنَّ الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُهُ ورازقُهُ، وهو

يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمُ أَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِإِلَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء : ٧٥ - ٧٧) ^(١).

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون ز من النبي ﷺ مقررين بالله ربا حالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغفرون لهم وينزلون لهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَقَّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُوْقَنُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ تَرَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكَرَهُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُوْقَنُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٧)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ الْسَّمَوَاتِ السَّمِيعُ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ * سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴾ * قُلْ مَنْ بَيْلَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَقَاءٍ وَهُوَ بُحْرٌ وَلَا يَبْحَرُ أَعْلَاهُ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لَهُ قُلْ فَإِنَّ مُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٤ - ٨٩).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق

(١) انظر: تفسير ابن حجر (٣١٢ - ٣١٣).

العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقررون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعبادتها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقررون أن الله هو المفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك ، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائل، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقررونهم إليه زلفي؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْنَدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا يُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ...﴾ (الزمر: ٣)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوهُم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبيّن أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإيمان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

المبحث الثالث: مظاہر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجملة عليه التفوس، متکاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاہر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

١ - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْكُمُ إِلَّا الْأَدَهَرُ﴾** (الجاثية: ٢٤).

٢ - جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معانٍ ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

٣ - إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقاد وجود متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معانٍ الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

الفصل الثاني: توحيد الألوهية.

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تأله القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفرداً بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبد علم اليقين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقاً أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلوة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضاً من الأغراض غير رضا ربّه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلة، وبيان أهميتها

المطلب الأول: أدلة.

لقد تضافت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بال神性، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

١ - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٢١)، وقوله: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (النساء: ٣٦)، وقوله: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء: ٢٣)، ونحوها من الآيات.

٢ - وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونَ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٣ - وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الْطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

٤ - وتارة ببيان أنه المقصود من إزالة الكتب الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَكِ كَهَبًا رُوحٌ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ ﴾ (النحل: ٢).

٥ - وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أحور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِمَّا نَوَّا وَلَمْ

يَلِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أَوْ لَئِكَ لَهُمْ أَمَانٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿الأنعام: ٨٢﴾

٦ - ونارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنْوَهُ مَا تَأْرُوْ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** (المائدة: ٧٢)، وقوله تعالى: **﴿وَلَا يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَنَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾** (الإسراء: ٣٩).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رض قال: قال النبي ص: ((يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدرى ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم)).^(١)

٢ - وعن ابن عباس رض قال: لما بعث النبي ص معاذا نحو اليمن قال له: ((إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوههم إلى أن يوحدو الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ...)), الحديث، رواه البخاري^(٢).

٣ - وعن ابن مسعود رض أن رسول الله ص قال: ((من

(١) صحيح البخاري (٧٣٧٣).

(٢) صحيح البخاري (٧٣٧٢).

مات وهو يدعو من دون الله ندأ دخل النار))، رواه البخاري^(١).
٤ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)، رواه مسلم^(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوهم، يقول الله تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنَّ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّنُونَ» (النحل: ٣٦)، وقال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (الأنياء: ٣٥).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا

(١) صحيح البخاري (٤٤٩٧).

(٢) صحيح مسلم (٩٣).

اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٦٥﴾ (الأعراف: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ شَمْوَدَ أَخَاهُمْ صَلَّى حَافَالْ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٧٣) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبَافَالْ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٨٥).

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدّم أن توحيد العبادة هو مفتاح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرّون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَقَالُوا لَانْذِرْنَا إِلَهَنَاكُمْ وَلَا نَذِرُنَّ وَدَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسَرًا * وَقَدْ أَضْلَلُوا كَيْرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (نوح: ٢٣-٢٤)، وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿قَالُوا مَا حَنَّا إِلَّا فَنَأَعْنَّا إِلَهِنَا فَإِنَّا إِنْ كُنَّا مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٢)، ﴿قَالُوا يَأَيْهُو دُّرُّ هُودٍ مَا حَنَّا إِلَيْنَا فَنَأَعْنَّا إِلَهِنَا كَيْرًا وَلَا هَنَّا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ٥٣).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالُوا يَأَيْنَ صَلِحٌ قَدْ كُنْتَ فِي نَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ أَبَاؤُنَا وَإِنَّا لِفِي شَكٍ مَمَانَدُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (هود: ٦٢).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: «**قَالُوا يَتَشَعَّبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرُكَ مَا يَعْبُدُ إِبَّاً وَنَّأَنَّا أَوْ أَنْ تَقْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَوْا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**» (هود: ٨٧).

وقال عن كفار قريش: «**وَعَجِبُوا أَنَّ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَّارُونَ هَذَا سَحْرٌ كَذَابٌ * أَجْعَلَ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَحْدَهُ إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ بُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى الْهَتَّاكِمْ بِهِنَّا هَذَا الشَّيْءُ يُرَادُ * مَا سِعْنَا بِهِنَّا فِي الْمِلَّةِ أَلَّا خِرَّةٌ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْيَلَنِّي**» (ص: ٤-٧).

وقال: «**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُرُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِنْ كَادَ لِيُضْلِلُنَا عَنِ الْهَتَّاكِمْ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِيرَتَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضْلَلَ سِبِيلًا * أَرَيْتَ مَنْ أَنْهَذَ إِلَيْهِ هَوَّهُ أَفَإِنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَسِكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضْلَلُ سِبِيلًا**» (الفرقان: ٤١-٤٤).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدلّ أوضاع دلالة أن المعترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله^(١)).

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥)، صحيح مسلم برقم (٢٢).

وثبت في الصحيح أيضاً عن النبي ﷺ قال: (من قال لا إله إلا الله و كفر
بما يعبد من دون الله حرُم ماله و دمه و حسابه على الله) ^(١).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٣).

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحفته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تبني عليها.

ال العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بغير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد: إذا كان مذلاً قد وطئه الأقدام.

وشرعًا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.
وهي تبني على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب لله رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِمَانُوا أَشَدُ حُبًا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ (الإسراء: ٥٧).

الثالث: كمال الخوف من الله رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الإسراء: ٥٧).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَلِكُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فالآية الأولى فيها الحبة؛ فإن الله منعم، والنعم يحب على قدر إنعماته، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمة رب العالمين، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿إِيَّاكَ نَبْعَدُ﴾، أي: أعبدك يا رب هذه

الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، ورجائلك الذي دل عليه: **﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾**، وخوفك الذي دل عليه: **﴿مَلِكُ يَوْمٍ الْدِينِ﴾**.

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

١ - الإخلاص فيها لله رب العالمين؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: **﴿وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾** (البيت: ٥)، وقال تعالى: **﴿أَلَا لِلَّهِ الَّذِينَ الْخَالِصُونُ﴾** (الزمر: ٣)، وقال تعالى: **﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾** (الزمر: ٤).

٢ - المتابعة للرسول ﷺ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا المافق له ولرسوله ﷺ، قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَئْتُكُمُ الرَّسُولُ فَحُذِّرُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ هُوَ أَعْلَمُ﴾** (الحشر: ٧)، وقال تعالى: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَا مَأْتَيْتَ وَيُسَلِّمُوا نَسْلِيْمًا﴾** (النساء: ٦٥).

وقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ^(١) (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ، قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: **﴿لِيَبْلُوُكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾** (هود: ٧، الملك: ٢): «أخلصه وأصوبه»، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا

(١) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧).

كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة»^(١).

ومن الآيات الجامعة لهذا الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف:

«قُلْ إِنَّمَا أَنْبَشَ رَبُّكُمْ يَوْمًا إِلَيْهِ كُمَّ الْهُكْمِ إِلَهٌ وَحْدَهُ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

١ - فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة. قال الله تعالى: «فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ» (غافر: ١٤)، وقال تعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» (الجن: ١٨)، وقال تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَحِي بِمَا إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءٍ وَكَانُوا يُعَذَّبُونَ كَفِرِينَ» (الأحقاف: ٥ - ٦).

فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً، ومن دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا.

(١) حلية الأولياء: (٩٥/٨).

والدعاة نوعان: دعاء المسألة ودعاة العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاة العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاة العبادة.

٢ ، ٣ ، ٤ - ومن أنواع العبادة: الحبة والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

٥ - ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.
والتوكل على الله: هو صدق تقويض الأمر إلى الله تعالى اعتماداً عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المفاجع ودفع المضار، قال الله تعالى: **«وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ»** (المائدة: ٢٣)،
وقال تعالى: **«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ»** (الطلاق: ٣).

٦ ، ٧ ، ٨ - ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع،
فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثار للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: **«إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا نَأْخَسِّعِينَ»** (الأنياء: ٩٠).

٩ - ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: **«فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي»**

(البقرة: ١٥٠) ﴿فَلَا تَخْشُوهُمْ وَلَا خَوْنَ﴾ (المائدة: ٣).

١٠ - ومنها الإنابة، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْبِيُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا إِلَهُ﴾ (الزمر: ٥٤).

١١ - ومنها: الاستعانة، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمرور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَبْتُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ﴾، وقال ﷺ في وصيته لابن عباس: (إذا استعنت فاستعن بالله) ^(١).

١٢ - ومنها: الاستعاذه، وهي طلب الإعاذه والحماية من المكروه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا حَلَّ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ أَلْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.

١٣ - ومنها الاستغاثة، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩).

١٤ - ومنها الذبح، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجهه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَّا فِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾ (الكوثر: ٢).

١٥ - ومنها النذر، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة الله غير واجبة، قال الله تعالى: ﴿يُوْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخْفُونَ يَوْمًا كَانَ شَرِهُ مُسْتَطِرًا﴾ (الإنسان: ٧).

(١) سنن الترمذى (٢٥١٦)، ومسند أحمد (٣٠٧/١)، وقد حسن الحديث الترمذى وصححه الحاكم.

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

وال العبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكّل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلوة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله عز وجل، مجانية لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَرِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْهِ كُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ١٢٨). وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخصص وعم في حماية الحنفية السمحاء ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قدر يشوهها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ، فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطلب التالية عرض يتبيّن من خلاله حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدّه كلّ طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ - **تعريفها:** الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلباً للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب - **حكمها:** الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن

فيه شرك»، رواه مسلم^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في الرقيقة من العين^(٢) والhma^(٣) والنملة^(٤)»، رواه مسلم^(٥).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (من استطاع أن ينفع أخيه فليفعل)، رواه مسلم^(٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إذا اشتكي منا إنسان مسحه يمينه ثم قال: (أذهب الباس رب الناس وشف الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)، رواه البخاري ومسلم^(٧).

ج- شروطها: ولحوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهوما معلوما، فإن كانت من جنس الطلاسم

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٠).

(٢) «العين» إصابة العائين غيره بعينه يقدر الله.

(٣) «الhma» بحاء مهملة مضمة ثم ميم مخففة: وهي السم، ومعناه: أذن في الرقيقة من كل ذات سم، مثل لدغة الثعبان، أو العقرب أو نحوها.

(٤) «النملة» بفتح النون وإسكان الميم: قروح تخرج من الجنب.

(٥) صحيح مسلم برقم (٢١٩٦).

(٦) صحيح مسلم برقم (٢١٩٩).

(٧) صحيح البخاري برقم (٥٧٤٣)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩١).

والشعودة فإنها لا تجوز.

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقى؟ فقال: «لا بأس بذلك، بالكلام الطيب».

د - الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتأثير بذاتها، أو تكون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلك؛ أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التمائم.

أ- تعريفها: التمائم جمع تيمة، وهي ما يعلق على العنق وغيرها من تعويذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضر، و كان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقوون بها العين بزعمهم الباطل.

ب- حكمها: التحرير،
بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رض قال: سمعت رسول الله صل يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)، رواه أبو داود والحاكم ^(١).

وعن عبد الله بن عكيم رض مرفوعا: (من تعلق شيئا وكل إليه)، رواه

(١) سنن أبي داود برقم (٣٨٨٣)، ومستدرك (٤/٢٤١) وصححه الحاكم ووافقة النهي.

أحمد والترمذى والحاكم^(١).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا: (من تعلق تقيمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)، رواه أحمد والحاكم^(٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (من علق تقيمة فقد أشرك)، رواه أحمد^(٣). فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقى الشركية التي كانت هي غالب رقى العرب فهـي عنها لما فيها من الشرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجه أربعة:

- ١- عموم النهي عن تعليق التمائيم، ولا مخصوص للعموم.
- ٢- سدا للذرية، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.
- ٣- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستجاء، ونحو ذلك.
- ٤- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة به على المريض فلا تتجاوز.

(١) مسند أحمد (٤/٣١٠)، وسنن الترمذى برقم (٢٠٧٢)، ومستدرك الحاكم (٤/٢٤١) وصححه الحاكم.

(٢) مسند أحمد (٤/١٥٤)، ومستدرك الحاكم (٤/٢٤٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) مسند أحمد (٤/١٥٦)، وصححه الحاكم (٤/٢٤٤) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات.

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ - الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العين، والله تعالى يقول: **﴿فُلْ أَفْرَءَ يَتَمْ مَاتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ فِي اللَّهِ بُصْرٌ هُلْ هُنَّ كَيْشَفَتُ صُرُفٌ أَوْ أَرَادَ فِي رَحْمَةٍ هُلْ هُنْ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ، فُلْ حَسِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾** (الزمر: ٣٨)، ويقول تعالى: **﴿فُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الْضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾** (الإسراء: ٥٦).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: (أن النبي صلوات الله عليه رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا)، رواه أحمد ^(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى ققطعه وتلا قوله تعالى: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** (يوسف: ١٠٦) ^(٢).

ب - حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شرك أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

(١) المسند (٤٤٥)، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الميحيي رجاله ثقات.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٠٧/٧).

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثراً ف فهو مشرك شركاً أصغر لأنه جعل ما ليس سبباً سبباً والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلب النعماء أو دفع البلاء.

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرتين:

١ - أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن، قال الله تعالى: **﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَّكٌ﴾** (الأنعام: ٩٢، ١٥٥)، فمن بركته هدايته للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وقذيه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢ - أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاء ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليبي قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بـكفر، وللمشركين سدرة^(١) يعکفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواع، فمررنا بـسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ أجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات أنواع، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذى نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: **﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** (الأعراف: ١٣٨)،

(١) السدرة: شجرة ذات شوك.

لتركب سنن من كان قبلكم)، رواه الترمذى وصححه^(١). فقد دل هذا الحديث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار ونحوها من التبرك بها والukoف عندها والذبح لها هو الشرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: «أَجْعَلْنَا إِلَيْهَا كَمَا هُمْ إِلَيْهِ» فهؤلاء طلبو سدرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون، وأولئك طلبو إلها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إله غير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: (لتركب سنن من كان قبلكم) إشارة إلى أن شيئاً من ذلك سيقع في أمته ﷺ، وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهياً ومحذراً.

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عهدهم بالجاهلية حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشفت شبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هنيئكم عن زيارة القبور فزوروها)، رواه مسلم^(٢).

(١) سنن الترمذى برقم (٢١٨٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (٩٧٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: (زوروا القبور فإنها تذكر الموت) ^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة) ^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا) ^(٣).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يعلمهم إذا خرجو إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وال المسلمين، وإنما

إن شاء الله بكم للاحرون، أسأل الله لنا ولكم العافية)، رواه مسلم ^(٤).

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعيّة زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، وينهض عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

(١) صحيح مسلم برقم ٩٧٥.

(٢) مسند أحمد (٣/٣٨)، ومسند الحاكم (١/٥٣١).

(٣) مسند الحاكم (١/٥٣٢).

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٧٥.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلك طلب بالحجارة
والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها،
صيانة للتوحيد وحماية لجنباته، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنة
من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

١ - النهي عن قول المحرر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله ﷺ: (ولا تقولوا هجرا)، والمراد بالهجر كل أمر محظور
شرعًا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقربين وسؤالهم من دون
الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البواح
والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع من
ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه
أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: (ألا إن من كان
قبلكم كانوا يتخذون قبور الأنبياء وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور
مساجد إني أهلكم عن ذلك)^(١). فدعاة الأموات وسؤالهم الحاجات
وصرف شيء من العبادة لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحري
إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البدع
المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه رضي الله عنه قال في مرضه الذي

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ^(١).

٢ - الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المقربين ليقضوا حاجة للشخص فهو شرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وسائل الشرك لقوله عليه السلام: (لا عقر في الإسلام)، قال عبد الرزاق: (كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة) ^(٢).

٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ - رفعها زيادة على التراب الخارج منها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يحصلن القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، وأن يزداد عليه، أو يكتب عليه). رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم ^(٣).

٨ - الصلاة إلى القبور وعندتها.

فعن أبي مرثد الغنوبي قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: ((لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم ^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (الأرض كلها

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٥٣١).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٢٢٢).

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٧٠)، وسنن أبي داود برقم (٣٢٢٥)، ورقم (٣٢٢٦)، ومستدرك الحاكم (٥٢٥/١).

(٤) صحيح مسلم برقم (٩٧٢).

مسجد، إلا المقبرة والحمام). رواه أبو داود والترمذى ^(١).

٩ - بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: (عن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

١٠ - اتخاذها عيда.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تتخذوا قبرى عيضاً ^(٢)، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كتم فصلوا على، فإن صلاتكم تبلغني)، رواه أبو داود وأحمد ^(٣).

١١ - شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى)). رواه البخاري ومسلم ^(٤).

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٢)، وسنن الترمذى برقم (٣١٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) العيد هو الذي يعود ويكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم كل يوم من أجل السلام فكأنه يتحنن عيداً، فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمر المسلمين أن يصلوا ويسلموا عليه وهو في أي مكان كان لأن الله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة.

(٣) سنن أبي داود برقم (٢٠٤٢)، ومستند أحمد (٣٦٧/٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (١١٨٩)، وصحح صحيح مسلم (١٣٩٧).

المطلب السادس: التوسل.

أ - تعريفه: التوسل مأخذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد والسعى في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهى عنه.

ب - معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة «الوسيلة» في القرآن الكريم في موطنين:

١ - قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** (المائدة: ٣٥).

٢ - قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغَفَّونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ حَذُورًا﴾** (الإسراء: ٥٧).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد^(١).

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: «نزلت في نفر من العرب

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٠).

كأنوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنين، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون»^(١).

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الحليلة، ولذلك قال: **﴿يَنْجُونَ إِلَيْهِمْ الْوَسِيلَةُ﴾** أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل منوع.

١- التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعه فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل منوع.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾** (الأعراف: ١٨٠).

(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٣٠). وصحيف البخاري برقم (٤٧١٤).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم إيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك أغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عنِّي، أو أن يذكر الداعي عملاً صالحًا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَعْثُلُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَأَعْفِرُ لَنَا دُؤُوبِنَا وَقَنَاعَدَابَ النَّارِ﴾** (آل عمران: ١٦)، وقوله تعالى: **﴿رَبَّنَا آمَنَّا إِمَّا أَنَّا تَرَكْنَا وَآتَيْنَا الرَّسُولَ فَأَكَيْتُمْ بَعْنَامَ الشَّهَدِينَ﴾** (آل عمران: ٥٣). ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله ابن عمر رضي الله عنهمما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بينما ثلاثة نفر من كن كان قبلكم يمشون إذ أصاهم مطر، فألووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأنني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أنني اشتريت منه بقرا، وأنه أتاني يطلب أجراه، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنِّي، فانساحت^(١) عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، و كنت آتياهما كل ليلة بلين غنم لي، فأبطأتهما عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي

(١) فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه، كما في حديث سالم.

وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أستقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشتيك ففرح عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي أبنة عم من أحب الناس إلي، وإنني راودتها عن نفسها فأبأيتها إلا أن آتتها مائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تف pem الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشتيك ففرح الله بهم فخرجوا). رواه البخاري^(١).

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والحافظة على طاعة الله، فيطلب منه أن يدعوه له رب ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعوه لهم بدعاء عام وداعء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنير ورسول الله صلوات الله عليه قائم يخطب، فاستقبل رسول صلوات الله عليه قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله بغيتنا، قال: فرفع رسول الله صلوات الله عليه يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة^(٢))

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٦٥).

(٢) سحاب متفرق.

ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسيط السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس). قال شريك: فسألت أنساً: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدرى^(١).

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ذكر أن في أمه سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يستردون ولا يكترون ولا يتظرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محسن فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم)^(٢). ومن ذلك حديث ذكر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه قال: (فاسأله أن يستغفر لكم).

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

٢ - التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

١ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم

(١) صحيح البخاري برقم (١٠١٣)، وصحيح مسلم برقم (٨٩٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٨).

وسيؤهلم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

٢ - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾ (يونس: ٥٩) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِإِلَهٍ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النحل: ٣٩)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)) .

د - شبهات وردتها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريرهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوإليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوإليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

١ - حديث: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، أو (إذا سألتم الله فاسأله بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، وهو حديث باطل لم

يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

٢ - حديث: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور)، أو (فاستغثوا بأهل القبور)، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

٣ - حديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لتفعه)، وهو حديث باطل منافق لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

٤ - حديث: (لما اترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولو لا محمد مما خلقتك)^(١)، وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: (لولاك ما خلقت الأفلاك).

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يفتحها ويعتمدتها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفوها عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

١ - ما ثبت في الصحيح: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون)^(٢).

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج ١/٨٨ ح ٢٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (١٠١٠).

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله عز وجل، وأن المراد بقوله: (كنا نتوسل إليك بنينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا) [أي بجاهه].

وهذا ولا ريب فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياته كما تقدم بعض هذا المعنى، وعمر رضي الله عنه لم يرد بقوله: ((إننا نتوسل إليك بعم نبينا)) أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه، بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي هو أفضل الخلق، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجهاز التوسل بالذات أو الجاه.

٢ - حديث عثمان بن حنيف: (أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: ادع الله ألا يعافي، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد بن الرحمة، إني توجهت

بك إلى ربى في حاجى هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في)، رواه **السترمذى** وأحمد وقال **البيهقي** إسناده صحيح^(١).

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعوه له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: (إن شئت صبرت وإن شئت دعوت)، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصححة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه **بركة** دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره **ولهذا أورده البيهقي** في دلائل النبوة^(٢).

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة حارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه له)، رواه مسلم^(٣).

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنتفع بالموت.
وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

(١) **سنن الترمذى** برقم (٣٥٧٨)، ومستند **أحمد** (٤/١٣٨).

(٢) **دلائل النبوة للبيهقي** (٦/١٦٧).

(٣) **صحيح مسلم** برقم (١٦٣١).

المطلب السابع: الغلو.

أ – تعريفه: الغلو في اللغة هو محاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو محاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب – حكمه: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه وبيان سوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل . قال الله تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾** (النساء: ١٧١).

وقال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوْا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوْا كَثِيرًا وَضَلُّوْا عَنْ سَوَاءِ الْسَّكِينِ﴾** (المائدة: ٧٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهم: أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)، رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون)، قالها ثلاثة، رواه مسلم ^(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما

(١) المسند (١/ ٣٤٧)، والمستدرك (١/ ٦٣٨).

(٢) صحيح مسلم برق (٢٦٧٠).

أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله)، رواه البخاري^(١).

والمراد بهذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحى كما أغلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربى، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتکابا لتهيه ونافضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطراه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفریج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥).

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلام من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحب أن تعرف سبيل الحق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجنبه وتغضبه، والمسلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سبل الشر ليحذرها، وهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»^(١).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصود عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَيْنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

وفيمما يلي ذكر بعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٨٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٧).

المطلب الأول: الشرك.

أ - تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشعرين.
وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

١ - المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه،
ويدرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من
خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد
والإمامة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَفَلَا تُؤْفِكُونَ ﴾ (فاطر: ٣).

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في
شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
(الشورى: ١١).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من
خصائص الألوهية، كالصلوة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر
ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْجُذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحْبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ١٦٥).

٢ - المعنى الخاص: وهو أن يتخذ الله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله
الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا
هو المعنى المبادر من كلمة «الشرك» إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

ب - الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوّعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

١ - فقد أخبر الله سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الموت، فقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾** (النساء: ٤٨).

٢ - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: **﴿إِنَّكَ أَشَرُّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** (لقمان: ١٣).

٣ - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشَرَكْتَ لِيَحْبَطَ عَمَلُكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾** (الزمر: ٦٥).

٤ - ووصفه بأن فيه تنقصاً لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: **﴿فَالَّوَا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَأَلَّهُ إِن كُنَّا لِفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ سُوِّيَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ﴾** (الشعراء: ٩٦ - ٩٨).

٥ - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلداً في نار جهنم، فقال تعالى: **﴿إِنَّهُ مَن يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَرَدَهُ الْتَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** (المائدة: ٧٢).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جداً في القرآن الكريم.

ج - سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين

المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والشاء عليهم، قال الله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَأَنْذِرْنَاهُنَّا لِهَتَّكُنَّا وَلَا نَذِرْنَاهُنَّا وَدَّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَسَرَّا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾** (سورة الحج: ٢٤-٢٣).

فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما ماتوا جعلوا لهم أصناماً على صورهم وسموها بأسمائهم قاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل هم الأمر إلى عبادتهم.

ويشهد لهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صارت الأواثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندي، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سباء، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أو حى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تبعد حتى إذا هلك أولئك ونسخ ^(١) العلم عبدت» ^(٢).

روى ابن جرير الطبرى عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَا نَذِرْنَاهُنَّا لِهَتَّكُنَّا﴾** الآية، قال: «كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا

(١) (ونسخ العلم) أي علم تلك الصور بخصوصها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٢٠).

وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسكنون المطر، فعبدوهم»^(١). فجمعوا بين فتنتين:
الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.
فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د - أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.
١ - الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبها إن مات عليه يمكنه مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:
١ - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة)، رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن صحيح^(٢)، قال الله تعالى : « وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدِّلُهُنَّ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ » (غافر: ٦٠).

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفة لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكا أو ولينا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كما

(١) تفسير الطبرى (١٢/٢٥٤).

(٢) مسند أحمد (٤/٢٦٧)، وسنن الترمذى برقم (٢٩٦٩).

قال تعالى : « وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰ مَّا خَرَّ لَابْرَهَنَ لَهُ بِهِ، فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » (المؤمنون: ١١٧).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى : « فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَعَثَنَا إِلَيْهِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ » (العنكبوت: ٦٥) ، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رحائهم، ويخلصون له في كربهم وشدهم، فكيف من يشرك بالله في الرخاء والشدة عيادة بالله .

٢ - شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كليلة كأهل الفناق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى : « مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَهَا نَوْفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْتَيْكُمُ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَلْثَرُ وَحْكِيَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (هود: ١٥ - ١٦) .

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة .

٣ - شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويجرموا ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف ل الدين الإسلام فقد اتغذى من أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر .

قال الله تعالى : « أَنْهَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِهِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَى مَرِيْكَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبَثُدُوا إِلَيْهَا وَاحْدَادًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » (التوبه: ٣١) .

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية (أي في تبديل حكم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم؟ فذكر له أن عبادهم طاعتهم في المعصية (في تبديل حكم الله)، فقال: (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرموه ويحلون ما حرم الله فتحلوه)، قال: بلـيـ. قال: (فتلك عبادهم)، رواه الترمذـي وحسـنهـ، والطبرـانيـ فيـ المعـجمـ الـكـبـيرـ (١ـ).

٤ - شرك الحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمـةـ لـالـإـجـلالـ وـالـتـعـظـيمـ والـذـلـ وـالـخـضـوعـ الـيـ لاـ تـبـغـيـ إـلـاـ لـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ، وـمـنـ صـرـفـ الـعـبـدـ هـذـهـ الـمـحـبـةـ لـغـيـرـ الـلـهـ فـقـدـ أـشـرـكـ بـهـ الشـرـكـ الـأـكـبـرـ، وـالـدـلـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا أَسْدُدُ حُبَّهُمْ لِلَّهَ﴾ (البقرة: ١٦٥ـ).

٢ - النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو ما جاء في النصوص تسمـيـهـ شـرـكـاـ وـلـمـ يـصـلـ إـلـىـ حدـ الـأـكـبـرـ، وـهـوـ يـقـعـ فـيـ هـيـئةـ الـعـلـمـ وـأـقـوـالـ الـلـسـانـ. وـحـكـمـهـ تـحـتـ المـشـيـةـ كـحـكـمـ مـرـتـكـ الـكـبـيرـ.

وـمـنـ أـمـثـلـتـهـ مـاـ يـلـيـ:

أـ - يـسـيرـ الـرـيـاءـ، وـالـدـلـلـ مـاـ روـاهـ إـلـاـمـ أـمـهـ وـغـيـرـهـ عـنـ النـبـيـ ﷺـ أـنـهـ قـالـ: (إـنـ أـخـوـفـ مـاـ أـحـافـ عـلـيـكـمـ الشـرـكـ الـأـصـغـرـ)، قـالـواـ: وـمـاـ الشـرـكـ الـأـصـغـرـ يـاـ رـسـوـلـ الـلـهـ؟ قـالـ: (الـرـيـاءـ، يـقـولـ الـلـهـ تـعـالـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ إـذـ جـازـىـ

(١ـ) سنـنـ التـرـمـذـيـ بـرـقـمـ (٣٠٩٥ـ)، وـالـمـعـجمـ الـكـبـيرـ لـالـطـبـرـانـيـ (٩٢ـ/١٧ـ).

الناس بأعمالهم: اذهبو إلى الذين كنتم تراوون في الدنيا، فانظروا هل تجدون
عندهم جزاء^(١).

ب - قول: «ما شاء الله وشئت»، روى أبو داود في سنته عن النبي ﷺ: (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)^(٢).

ج - قول: «لولا الله وفلان»، أو قول: «لولا البط لأنانا
للصوص»، ونحو ذلك، روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهمَا في معنى قوله تعالى: «فَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» قال : «الأنداد هو الشرك أخفى من
دبيب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله
وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لو لا كليمة هذا لأنانا للصوص،
ولولا البط في الدار لأنـي للصوص، وقول الرجل لأصحابه: ما شاء الله
وشئت، وقول الرجل: لو لا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به
شرك»^(٣).

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

١ - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر
فتحت المشية.

(١) مسند أحمد (٤٢٨/٥)، قال المنذري إسناده جيد، الترغيب والترهيب (٤٨/١)، وقال المishiسي رجاله رجال
الصحيح، بجمع (١٠٢/١).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٠)، قال الذهبي في مختصر البهقي (١/٢١٤٠) إسناده صالح.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٦٢/١).

٢ - أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يمحط إلا العمل الذي قارنه.

٣ - أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤ - أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكفيه من الذنب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ - تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية. وشرعًا: ضد الإيمان، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو يعراض عن ذلك حسدا وكيرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

ب - أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.
فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولاً: الكفر الأكبر.

وهو خمسة أنواع:

١ - كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسول عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ فَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ لِمَاجَاهَهُ أَلِيَّسْ فِي جَهَنَّمَ مَشْوِي لِلْكَافِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٨).

٢ - كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالماً بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا يقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكباراً وعناداً، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِإِلَهٍ مُسْجَدٌ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤).

٣ - كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظْنَنُ أَنْ تَبِدَ هَذِهِ أَبْدَا * وَمَا أَظْنَنُ السَّاعَةَ قَاءِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَيْقٍ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ مُحَاوِرٌ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّلَكَ رَجْلًا * لَذِكْرًا هُوَ لِلَّهِ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: ٣٥ - ٣٨).

٤ - كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلى عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه بما جاء به الرسول ﷺ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (الأحقاف: ٣).

٥ - كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر^(١)، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمْنَوْا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (النافقون: ٣).

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٦).

والنفاق على ضربين:

١ - نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهو سبعة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بالنخفاض دين الرسول، أو الكراهة لانتصار دين الرسول.

٢ - ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوْتَمْنَ خان، وإذا حَدَثَ كَذَبُ، وإذا عاهدَ غَدَرُ، وإذا خَاصَمَ فَحْرَ)) متفق عليه^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((آية المنافق ثلث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوْتَمْنَ خان))، رواه البخاري^(٢).

ثانياً: الكفر الأصغر

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقٌ هَارِغًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣).

لباس الجوع والجوف بما كانوا يصنعون ﴿ (النحل: ١١٢) .

وفي قوله ﷺ: (اثنان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت)، رواه مسلم ^(١).

وفي قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)، رواه البخاري و مسلم ^(٢).

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَّافَتْنَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا إِنْ بَعْدَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَتِلُوهُ أَلَيْ تَبْغِي حَقَّنَفْتِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَأَمَّتْ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَوْهُ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحرات: ٩، ١٠) ، فسماهم الله عز وجل مؤمنين مع الاقتتال.

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِنَّمَا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨) ، فدللت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَن يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَنَهَى النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢) .

(١) صحيح مسلم برقم (٦٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢١)، و صحيح مسلم برقم (٦٥).

المبحث الخامس:

ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله عز وجل بعلمه واحتضن نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: **﴿ قُل لَا يَعْلَمُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾** (النمل: ٦٥)، وقال تعالى: **﴿ لَهُ عِيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾** (الكهف: ٢٦)، وقال تعالى: **﴿ عَلِمَ اللَّهُ الْغَيْبُ وَالشَّهَدَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ﴾** (الرعد: ٩). فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عنمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: **﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾** (هود: ٣١)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: **﴿ قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَيْلَغُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ ﴾** (الأحقاف: ٢٣)، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: **﴿ قُل لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾** (الأنعام: ٥٠)، وقال تعالى: **﴿ وَعَلَمَ إِدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا مِمَّ عَرَضْتُهُمْ عَلَى الْمَلَئِكَةِ فَقَالَ أَنِّيُوْنِي بِاسْمَاءٍ هَوْلَاءَ إِنْ كُنْتُمْ صَنِدِيقِيَ * قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾** (البقرة: ٣٢ - ٣١).

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق

الوحي، كما قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عِنْدِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ أَرَضَنَّ مِنْ رَسُولِ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لَيَعْلَمُ أَنَّ قَدْ أَتَبْغَوْ رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَهُمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (الجن: ٢٨-٢٦)، وهذا من الغيب النسي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعى علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيراً وضلوا عن سوء السبيل، كالسحره والكذابين والمنجمين، وغيرهم. وفيما يلي عرض جملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب، ويضللون بها عوام المسلمين وجهاتهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

١ - السحر: وهو في اللغة ما خفي وله طف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَوَّا الشَّيَطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَإِلْهَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعْلَمُانَ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُّرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا مَنِ اسْتَرَهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِي وَلَنْسَ مَا شَرَّوْ إِبِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢).

ومنه النفي في العقد، قال الله تعالى: «**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا حَلََّ** * **وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**».

٢ - **التنجيم**: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد))، رواه أبو داود^(١).

٣ - **زجر الطير والخط في الأرض**: فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((العيافة والطيرة والطرق من الجب))^(٢)، أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسئلتها وأصواتها ومرها، والطرق الخط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

٤ - **الكهانة**: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) رواه أبو داود وأحمد والحاكم^(٣).

(١) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٥).

(٢) سنن أبي داود برقم (٣٩٠٧)، ومسند أحمد (٤٧٧/٣).

(٣) سنن أبي داود (٣٩٠٤)، ومسند أحمد (٤٢٩/٢)، المستدرك (١/٥٠) قال الحاكم صحيح على شرط الشيفيين ووافقه الذهبي.

٥ - **كتابة حروف أبا جاد:** وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قدرًا معلوماً من العدد ويجري على ذلك أسماء الأدمين والأزمنة والأمكنة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحس ونحو ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهم في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق))، رواه عبد الرزاق في المصنف ^(١).

٦ - **القراءة في الكف والفنegan ونحو ذلك** مما يدعى به بعض هؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنى وصحة ومرض ونحو ذلك.

٧ - **تحضير الأرواح:** ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتى ويسألوها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نوع من الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس على الجهل وأكل أموالهم بالباطل والتوصل إلى دعوى علم الغيب.

٨ - **التطير:** وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.

فعن عمران بن حصين مرفوعاً: ((ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهانا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ))، رواه البزار ^(٢).

(١) المصنف (١١/٢٦).

(٢) مستند البزار (٩/٥٢)، و قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٨/٣٥٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١١٧) رجاله رجال الصحيح.

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، وينحرهم الفقه في الدين،
ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد : الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك على المسلم.

المبحث الأول : تعريفه وأدله.

أولاً : تعريفه.

ثانياً : المنهج الحق في إثباته.

ثالثاً : أدلة هذا المنهج.

المبحث الثاني : أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الثالث : قواعد في باب الأسماء والصفات.

التمهيد

الإيمان بالأسماء والصفات

وأثر ذلك في سلوك المسلم

إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثاراً عظيمة في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربه. فمن آثارها تلك المعاني التي يجد بها العبد في عبوديته القلبية التي تثمر التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبه، وضبط هوا جسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضي الله تعالى، ويحب الله وفي الله، به يسمع، وبه يصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربه.

هذه المعاني وغيرها مما يتعلق بالإيمان بمعاني الأسماء والصفات تثمر العبودية الظاهرة والباطنة على تفاوت بين شخص وآخر وذلك فضل الله يؤتى من يشاء.

فلاسمه «العفار» أثره العظيم في محنته وعدم اليأس من رحمته ولاسمه «شديد العقاب» أثره الكبير في خشيته وعدم الجرأة على محارمه. وهذا لأنسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة في نفس المسلم واستقامته على شرع الله بل وتحقيق محنته في القلوب التي هي أساس سعادته المسلم في الدنيا والآخرة، وفتح كل خير وأعظم عون للعبد على عبادته لربه على أكمل الوجوه إذ الأعمال الظاهرة تخف وتتقل على النفس بحسب المحبة القلبية لله تعالى.

فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله منوط بالمحبة القلبية لله. والمحبة منوطه بمعارفه بأسمائه وصفاته. وهذا كان أعظم الناس عبادة لله رسول الله الذين هم أعظم الناس محبة له وأعرفهم به.

المبحث الأول

تعریف توحید الأسماء والصفات وأدله

أولاً : تعریفه :

توحید الأسماء والصفات : هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ ، ونفي ما نفي الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلائلها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق.

ثانياً : المنهج في إثباته :

يقوم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات على الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحرير ولا تعطيل، ومن غير تكثيف ولا تقليل.

والتحرير : هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه. وهو قسمان :

١- تحرير لفظي. وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة كتحرير كلمة استوى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ (٥:٥) إلى استوى. قال صاحب النونية:

نون اليهود ولام جهمي هما في وحي رب العرش زائدتان

٢- تحرير معنوي. وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه

كمن فسر «اليد» لله تعالى بالقوة أو النعمة. فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع ولا اللغة.

والتعطيل : هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة.

والفرق بين التحرير والتعطيل هو أن التحرير نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح. أما التعطيل فهو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر.

والتكيف : تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المحرفين في هذا الباب الذين يكيفون صفات الله فيقولون كيفية يده: كذا وكذا، وكيفية استواه على هيئة كذا وكذا. فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عن إدراكه.

والتمثيل : هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجه كوجهنا تعالى الله عن ذلك.

ويتنظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول من حقيقها سلم من الانحراف في هذا الباب. وهي :

الأصل الأول : تزييه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني : الإيمان بما سمي ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه به

رسوله ﷺ على الوجه الالات بجلال الله وعظمته.

الأصل الثالث : قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالى لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

فمن حق هذه الأصول الثلاثة فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسماء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب.

ثالثاً : أدلة هذا المنهج :

دللت الأدلة من كتاب الله تعالى على تقرير هذا المنهج.

فمن الأدلة على الأصل الأول: وهو تزييه الرب عز وجل عن مشاهدة المخلوقين، قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيَسْ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ۱۱). ومقتضى الآية نفي المماطلة بين الخالق والمخلوق من كل وجه مع إثبات السمع والبصر لله عز وجل وفي هذا إشارة إلى أن ما يثبت لله من السمع والبصر ليس كما يثبت للمخلوقين من هاتين الصفتين مع كثرة من يتصرف بهما من المخلوقين. وما يقال في السمع والبصر يقال في غيرها من الصفات. واقرأ قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي رَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. أورد ابن كثير في تفسير الآية ما رواه البخاري في التوحيد (٣٧٢/١٣) والإمام أحمد في المسند (٤٦/٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المحادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع فأنزل الله عز وجل

﴿ قَدْسِيْعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي بُحَمِّدِ لَكَ فِي زَوْجِهَا .. ﴾ إِلَى آخر الآية». ^(١)

وَمِنَ الْأَدْلَةِ أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَنْصِرِيْ بِوَالِهِ الْأَمْثَالَ ﴾ (النَّحْر: ٧٤).

قَالَ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: «فَلَا تَمْثِلُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ وَلَا تَشْبِهُوا لَهُ الْأَشْبَاهَ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا شَبِهٌ» ^(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً ﴾ (مُرِيم: ٦٥) قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِهَا: «هَلْ تَعْلَمُ لِلرَّبِّ مِثْلًا أَوْ شَبِيهًَا».

وَمِنَ الْأَدْلَةِ هَذَا الْأَصْلُ: قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الْإِحْلَاص: ٤) قَالَ الطَّبَرِيُّ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمْثُلِهِ شَيْءٌ».

وَمِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى الْأَصْلِ الثَّانِيِّ: وَهُوَ الْإِيمَانُ بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصَفَاتِهِ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّهُ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نُوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَنْهَا حِفْظُهُمْ وَهُوَ عَلَىٰ الْعَظِيمِ ﴾ (الْبَقْرَة: ٢٥٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّهِيرَ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الْحَدِيد: ٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسِّعُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الْحُسْنَى: ٢٢-٢٤).

(١) ابْنُ كَثِيرٍ (٦٠/٨).

(٢) الطَّبَرِيُّ (٦٢١/٧).

ومن السنة حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فاللهم أنت آخذ منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعود بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعده شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغينا من الفقر)^(١): والنصوص في تقرير هذا الباب كثيرة تخل عن الحصر.

وأما الأصل الثالث وهو قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله تبارك وتعالى فقد دل عليه قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَبْرِئُ مِنْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه: ١١٠). قال بعض أهل العلم في معنى الآية: «لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيةها».

ومن الأدلة لهذا الأصل أيضاً قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣) قال بعض العلماء في معرض حديثه عن الآية: «وهذا يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحث يحاط به فإن الإدراك وهو الإحاطة بالشيء قدر زائد على الرؤية فالرب يرى في الآخرة ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط بعلمه». وينبغي

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧١٣) .

للعقل أن يعلم أن للعقل حداً يصل إليه ولا يتجاوزه كما أن للسماع والبصر
حداً ينتهيان إليه، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكير في كيفية
صفات الله، فهو كالذى يتكلف أن يصعد ما وراء الجدار أو يسمع
الأصوات في الأماكن البعيدة جداً عنه.

المبحث الثاني

أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة

دل الكتاب والسنة على إثبات الأسماء والصفات للرب عز وجل في مواطن كثيرة من أوجه متعددة وفي سياقات متنوعة. والأسماء والصفات الثابتة بالكتاب والسنة كثيرة جداً دونت فيها الكتب والمصنفات وعد أهل العلم الكثير منها. ونذكر هنا طائفة منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

فمن أسماء الله تعالى :
الحي والقيوم :

وقد دل على هذين الأسمين الكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُومُ﴾ (القراءة: ٢٥٥). ومن السنة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في حلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: (لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به

أعطي^(١).

الحميد :

وقد دل عليه قول الله عز وجل: **«وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِّيْ حَمِيدٌ»** (البقرة:٢٦٧). ومن السنة حديث كعب بن عُجرة في التشهد أن النبي ﷺ علمهم أن يقولوا: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ...)^(٢).

الرحمن والرحيم :

وقد دل عليهما قول الله تعالى: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْفَلَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»** (الفاتحة: ٢، ٣).

ومن السنة أمر النبي ﷺ كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبين المشركين أن يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)^(٣).

الخليم :

ودليله من القرآن قوله تعالى: **«إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا»** (فاطر: ٤١). ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الخليم ..) الحديث.^(٤)

(١) رواه الحاكم برقم (١٨٥٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٣٧٠)، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٧٣١).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٣٤٥)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

ومن صفات الله : القدرة :

وهي صفة ذاتية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنّة. ومعنى ذاتية: أي ملزمة للذات الله لا تنفك عنه سبحانه. قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (البقرة: ٢٠). ومن السنّة حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى النبي ﷺ وجعل يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ: (ضع يدك على الذي تألم من جسده، وقل: بسم الله ثلاثاً وقل، سبع مرات: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر)).^(١).

الحياة :

وهي من صفات الله الذاتية. وهي مشتقة من اسمه الحي وقد تقدم ذكر الأدلة عليها.

العلم :

صفة ذاتية لله تعالى وتبوها بالكتاب والسنّة. قال تعالى: **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾** (البقرة: ٢٥٥). ومن السنّة حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخاراة: (اللهم إني أستخلك بعلمرك وأستقدرك بقدرتك ...).^(٢)

الإرادة :

وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنّة. والصفات الفعلية هي المتعلقة

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٠٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٣٨٢).

بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدُ
الَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحُ صَدَرَهُ مِلِلَّا سَلَّمَ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلَلَهُ يَجْعَلُ صَدَرَهُ ضَيِّقًا
حَرَجًا كَأَنَّمَا يَضْعَدُ فِي الْسَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥). ومن السنة حديث
عبدالله بن عمر رضي الله عنهمما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا
أراد الله بقوم عذاباً، أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم)^(١).

العلو :

وهو صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿سَيِّجَ أَسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١). وقال تعالى: ﴿يَمَغْفِلُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل: ٥٠).
ومن السنة حديث أبي هريرة المتقدم في البحث الأول في الذكر عند النوم
وفيه: (... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدهك
شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء
...)^(٢).

الاستواء :

وهو صفة فعلية لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ (طه: ٥). وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله
ﷺ يقول: (ما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه)^(٣). ومعنى الاستواء في

(١) رواه مسلم برقم (٩٢٨٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧١٣).

(٣) رواه الذهي في العلو برقم (١١٩) وقال: رواه ثقات، رواه الخلال في كتاب السنة.

لغة العرب: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود واستواء الله تعالى على عرشه استواء يليق بجلاله.

الكلام :

وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، وقد دل على صفة الكلام الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: **﴿وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** (السباء: ١٦٤)، **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّيْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾** (الأعراف: ٤٣).

ومن السنة حديث أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صل: (احتاج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خييتنا وأخر جتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ...) الحديث.^(١)

الوجه :

وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة. قال تعالى: **﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا أَبْيَقْنَاهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾** (القراءة: ٢٧٢). قوله: **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾** (الرحمن: ٢٧)، ومن السنة حديث جابر بن عبد الله قال: (ما نزلت: هذه الآية **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثَثَ عَيْنَكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقَكُمْ﴾** قال النبي صل: أعود بوجهك. فقال: **﴿أَوَّلَمْ نَحْنُ أَنْجُلُكُمْ﴾** قال النبي صل: أعود بوجهك . قال **﴿أَوَلَيَسْكُمْ شَيْعًا﴾** (الأنعام: ٦٥). فقال

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٦١)، ومسلم برقم (٢٦٥٢).

النبي ﷺ: هذا أيسر) ^(١).

اليدان :

وهي صفة ذاتية خبرية لله عز وجل وثبوتها بالكتاب والسنة. قال تعالى: **﴿بَلْ يَدَاهُ مُبِسْوَطَاتٍ يُنْفِقُ كِيفَ يَشَاءُ﴾** (المائدة: ٦٤). وقوله تعالى: **﴿قَالَ يَٰٰيَٰ إِلَٰهِ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيِّ﴾** (ص: ٧٥). ومن السنة حديث أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وي sist يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) ^(٢).

العينان :

وهي صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة. فمن الكتاب قول الله تعالى: **﴿وَلَا يُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾** (طه: ٣٩). وقوله تعالى: **﴿وَأَصْنَعَ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾** (هود: ٣٧). ومن السنة حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية) ^(٣).

القدم :

وهي صفة ذاتية ثابتة للرب عز وجل بالأحاديث الصحيحة. ومن ذلك

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٦).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٥٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤٠٧) ومسلم برقم (٢٩٣٣).

حديث أبي هريرة في تجاجع الجنة والنار وفيه: (... فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله، تقول قط قط فهنا لك تمتلي ويزوي بعضها إلى بعض ...)^(١). وفي بعض الروايات في الصحيحين (فيضع قدمه عليها

..^(٢).

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة لا تحصى وإنما هذه أمثلة و يجب على المسلم إثباتها الله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكماله، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته وهو أعلم الخلق بربه وأكملهم نصراً وأفصحهم وأبلغهم بياناً وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله من صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقين لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٥٠) ومسلم برقم (٢٨٤٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٤٨، ٤٨٤٩) ومسلم برقم (٢٨٤٨).

المبحث الثالث

قواعد في باب الأسماء والصفات

القاعدة الأولى : القول في الصفات كالقول في الذات

وبيانها : أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفات، ولا أفعاله. فإذا كان الله ذات حقيقة لا تمثل الذوات بلا خلاف فكذلك الصفات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقة لا تمثل سائر الصفات فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فإن إثبات الذات للرب عز وجل محل إجماع الأمة.

فإذا قال قائل : لا أثبتت الصفات لأن في إثباتها تشبيهاً لله بخلقه. يقال له : أنت تثبت لله ذاتاً حقيقة وثبتت للمخلوقين ذواتاً أفاليس هذا تشبيهاً على قولك !! فإن قال: إنما أثبتت ذاتاً لله لا تشبه الذوات ولا يسعه غير هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كانت الذات لا تشبه الذوات وهو حق فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال : كيف أثبتت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا : له كما ثبت ذاتاً لا تعلم كيفيتها.

القاعدة الثانية : القول في بعض الصفات كالقول في بعضها

الآخر

وشرحها : أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبات والنفي

كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينماز في صفة الحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازاً فيقال له: لا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن كنت تثبت له حياة وعلماً وقدرة وسمعاً وبصراً لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين يتصرفون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له حبة ورضاً وغضباً كما أخبر هو عن نفسه من غير مشاهدة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

القاعدة الثالثة : الأسماء والصفات توقيفية

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنّة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجوب الوقوف على النص. قال تعالى: **«وَلَا تَنْقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا»** (الإسراء: ٣٦). وقد كان أئمة الإسلام على هذا المنهج. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث). وقرر بعض أهل العلم أن العلم بالشيء حتى يمكن وصفه له ثلاثة طرق: إما رؤيته، أو رؤية مثيله، أو وصفه من يعرفه. **وَعِلْمُنَا بِرَبِّنَا وَأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ مُحَصَّرٌ فِي الطَّرِيقِ** الثالث وهو وصفه من يعرفه وليس أحد أعلم بالله من الله ثم رسّله

الذين أوحى إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاته إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصفه وليس له مثيل من خلقه فهو صفت بوصفه، تعالى ربنا وتقديس.

القاعدة الرابعة : أسماء الله كلها حسني

أسماء الله كلها حسني أي بالغة في الحسن غايتها. قال تعالى: **﴿وَإِلَهُ أَلَا أَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** (الأعراف: ١٨٠) وذلك لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول وهو الله عز وجل ولأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديرأً.

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعده ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها. ومثال آخر: (العليم) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان. قال تعالى **﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾** (طه: ٥٢) العلم الواسع الخيط بكل شيء جملة وتفصيلاً سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه. كما قال تعالى: **﴿يَعْلَمُ خَلِيلَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾** (غافر: ١٩). والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراد، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى آخر كمال فوق كمال. مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في

العزيز والحكم والحكمة في الحكيم. والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً كما يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجرور، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعزيز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل. هذا والله أعلم.

وفي ختام هذا الباب نشير إلى جملة من الفوائد والثمرات التي يجنيها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فمن ذلك :

- ١- أن العبد ينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، بل إن السعادة في الدارين متوقف الحصول عليها على الإيمان بالله، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته وألوهيته.
- ٢- أن إيمان العبد بربه وأسمائه وصفاته هو أعظم أسباب خوفه سبحانه وخشيه وتحقيق طاعته، فكلما كان العبد بربه أعرف كان إليه أقرب، ومنه أخشع، ولعبادته أطلب، وعن معصيته ومخالفته أبعد.
- ٣- أن العبد ينال بذلك طمأنينة قلبه، وراحة نفسه، وأنس خاطره، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة. والله تعالى يقول ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمَّئِنُ قُلُوبُهُمْ يُذَكِّرُ اللَّهُ أَلَا يَذِكَّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).
- ٤- أن نيل ثواب الآخرة متوقف على الإيمان بالله وصحته، فبتحقيقه وتحقيق لوازمه ينال العبد ثواب الآخرة فيدخل جنة عرضها السماء والأرض فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وينجو من النار وعذابها الشديد، وأعظم من ذلك كلّه أن يفوز برضى رب سبحانه فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذذ يوم القيمة بالنظر إلى

وجهه الكريم في غير ضراء مضره ولا فتنه مضلة.

٥- أن الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال و يجعلها مقبولة، فيفقده لا تقبل بل ترد على صاحبها وإن كثرت وتنوعت ، قال تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَيَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ (المائدة:٥). وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعَيْهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (الإسراء:١٩).

٦- أن الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي الموعظ النافعة وال عبر المؤثرة، ويوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلى الخيرات، ومحابية المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمة، والآداب النافعة.

٧- أن الإيمان بالله ملحاً المؤمنين في كل ما يلم بهم من شرور وحزن وأمن وخوف وطاعة وعصية وغير ذلك من الأمور التي لابد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلحؤون إلى الإيمان بالله فيحمدون الله ويشون عليه ويستعملون نعمته فيما يحب، وعند المكاره والأحزان يلحؤون إلى الإيمان بالله فيتسلون بإيمانهم وما يترتب عليه من الأجر والثواب، وعند المخاوف والأحزان يلحؤون إلى الإيمان بالله فتطمئن قلوبهم ويزداد إيمانهم وتعظم ثقتهم بربهم، وعند الطاعات والتوفيق للأعمال الصالحة يلحؤون إلى الإيمان بالله فيعترفون بنعمته عليهم، ويحرصون على تكميلها، ويسألونه الثبات عليها والتوفيق لقبولها، وعند الواقع في شيء من المعاصي يلحؤون إلى الإيمان بالله فيبادرون إلى التوبة منها والخلص من شرورها وأوضارها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاهم ملحوظهم إلى الإيمان بالله وحده.

٨- أن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته توجب محبة الله في القلوب إذ أن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جابت على حب الكمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال وتحققت الحكمة التي خلق العبد من أجلها وهي عبادة الله.

٩- أن العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بانفراد الله تعالى بتصريف شؤون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له وهذا مما يتحقق صدق التوكل على الله في جلب المصالح الدينية والدنيوية وفي ذلك فلاح العبد ونجاحه فمن توكل على الله فهو حسيبه.

١٠- إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا، وهي إما عالم بما كونه، وإما عالم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهم ما مرتبان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه. فمن أحصى أسماء الله كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم.

الباب الثاني:
بقية أركان الإيمان
وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول:
الإيمان بالملائكة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الملائكة وأصل خلقتهم وصفاتهم وبعض
خصائصهم.

المبحث الثاني : منزلة الإيمان بهم وكيفيته وأدلة ذلك.

المبحث الثالث : وظائفهم.

المبحث الأول

تعريف الملائكة وأصل خلقهم، وصفاتهم، وفضائلهم

تعريفهم :

الملائكة: جمع مَلَكٍ. أخذ من (الْأَلْوَكِ) وهي : الرسالة.

وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكيل والتتمثل والتتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد احتارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

أصل خلقهم :

والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي «النور». فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور. وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)^(١). والمأرج هو: اللهب المحتلط بسواد النار.

صفاتهم :

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها فمن ذلك:

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦).

أهم موصوفون بالقوة والشدة. كما قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَّاً أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوَّدُهَا أَنَّاسٌ وَالْجَهَارَةُ عَلَيْهَا مَلَّتِكُمْ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ (التحريم:٦). وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَّى﴾ (التحمٰ:٥). وقال في وصفه أيضاً ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ (التكوير:٢٠).

وهم موصوفون بعظام الأجسام والخلق. ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي ﷺ عن معنٰ قوله تعالى ﴿وَلَقَدْرَاءَهُ بِالْأَفْقِ الْمَيْنِ﴾ (التكوير:٢٣) فقال: (إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظماً خلقه ما بين السماء إلى الأرض) ^(١).

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم) ^(٢)، قال الحافظ ابن كثير: إسناده جيد.

وروى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام) ^(٣) قال الميثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٧).

(٢) مسنـد الإمام أـحمد: (١/٣٩٥)، و(٦/٢٩٤).

(٣) سنـن أبي داود: (٥/٩٦)، برقم (٤٧٢٧).

ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح. قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلٌ الْمَلَائِكَةَ رَسُلًا أُولَئِيْ أَجْنِحَةٍ مُّتَّفِقِيْنَ وَثَلَاثَ وَرَبِعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (فاطر: ۱).

ومن صفاتهم الحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعالى في حق جبريل عليه السلام ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىْ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَ﴾ (النجم: ۶۰، ۵) قال ابن عباس رضي الله عنهم (ذو مرة: ذو منظر حسن) وقال قتادة: (ذو خلق طويل حسن).

وقال تعالى مخبرا عن النسوة عند رؤيتها ليوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكَبَرْنَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَشْ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ۳۱) وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند الناس من وصف الملائكة بالجمال الباهر.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار. قال تعالى ﴿يَأَيُّدِي سَفَرَةَ * كَرَامَ بَرَّوْرَ﴾ (عس: ۱۵، ۱۶) وقال عز وجل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحْفَظَنِيْنَ * كِرَاماً كَثِيْرِيْنَ﴾ (الأنفطار: ۱۰، ۱۱).

ومن صفاتهم الحباء لقول النبي ﷺ في حق عثمان رضي الله عنه: (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) ^(۱).

ومن صفاتهم أيضا العلم. قال تعالى في خطابه للملائكة ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

(۱) صحيح مسلم برق (۲۴۰۱).

مَا لَأَنْعَلَمُونَ》 (البقرة: ٣٠) فأثبتت الله عز وجل للملائكة علمًا وأثبتت لنفسه علمًا لا يعلمونه. وقال تعالى في حق جبريل عليه السلام 《عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى》 (النجم: ٥) قال الطبرى: (علم محمدًا ﷺ هذا القرآن جبريل عليه السلام) أ.ه، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم. إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنّة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

خصائصهم :

للملائكة عليهم السلام خصائص وصفات قد اختصهم الله تعالى بها، وامتازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات. فمنها: أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذاً لأمر الله في الخلق وما أنسد إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: 《يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ》 (النحل: ٢) وقال تعالى: 《وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيْنَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَتَّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ》 (الزمر: ٧٥). وعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ﷺ: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون) ^(١). والنصوص في هذا كثيرة جداً يصعب حصرها هنا.

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٥)، و صحيح مسلم برقم (٦٣٢).

ومن خصائصهم أنهم لا يوصفون بالألوان، قال تعالى منكرا على الكفار ذلك: **﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتِهِمْ وَيَسْأَلُونَ﴾** (الزخرف: ١٩). وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ سَمِيَّةَ الْأَنْفَنَ﴾** (النجم: ٢٧).

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفهم: **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾** (التحريم: ٦). وقال أيضا **﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾** (الأنبياء: ٢٧).

ومن خصائصهم أيضا أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسامون. قال تعالى: **﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِنُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ﴾** (الأنبياء: ٢٠، ١٩). وقال في آية أخرى: **﴿فَإِنْ أَسْتَكِنُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَيِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْعَمُونَ ﴾** (فصلت: ٣٨).

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون النّفّالين من الإنس والجّن. وبالجملة فالملايك جنس آخر، يتميزون في أصل خلقهم وتكوينهم عن الإنس والجّن. كما أن لكل من الإنس والجّن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر والله أعلم.

المبحث الثاني

منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك

منزلة الإيمان بهم :

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُنْبِيهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥) فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمنته وأئمته امتنعوا ذلك.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُلْوِنُ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرُّ مَنْ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ (البقرة: ١٧٧). فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البر - والبر اسم جامع للخير - وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كما أخبر الله عز وجل في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله: فقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُنْبِيهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّلَ أَبَعِيدًا﴾ (السباء: ١٣٦) فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان،

ووصفه بالبعد في الضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان وأن تركه مخرج من الملة.

وقد دلت السنة كذلك على هذا. وهو ما جاء موضحاً في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رض قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتومني الزكاة وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتومن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها. وأن ترى **الحُفَّةُ الْعُرَّةُ**، **العَالَةُ**، **رِعَاءُ الشَّاءِ**، يتطاولون في البيان. قال: ثم انطلق فلبشت ملياً ثم قال لي: يا عمر! أتدرى من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم^(١).

فهذا حديث عظيم اشتمل على أصول الدين ومراتبه كلها وهو من هج

(١) صحيح مسلم برقم (٨).

فريد في تعليم هذا الدين جاء على طريقة الحوار بين الرسول الملكي، أفضل الملائكة وهو جبريل عليه السلام وبين الرسول الإنساني أفضل البشر، وهو محمد ﷺ، فينبغي لل المسلمين أن يعنوا بهذا الحديث العظيم وأن يستمدوا منه جهم في التعلم والتعليم منه كما كان على ذلك السلف رضوان الله عليهم. وقد تضمن الحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان وهو المقصود هنا .. والله أعلم.

كيفية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لابد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة وهي :

١- الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

٢- الإيمان بأنهم خلق كثير جداً لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودِ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المذار: ٣١) . أي لا يعلم جنود ربكم وهم الملائكة إلا هو وذلك لكثرتهم. قال بذلك بعض السلف.

وجاء في حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه الشیخان من حديث مالك ابن صعصعة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (... ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف

ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم^(١).

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يحررها)^(٢). فدل الحديث على كثرة الملائكة، فإذا كان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه وإنما يأتي غيرهم، وجهنم يأتي بها يوم القيمة هذا العدد من الملائكة، فكيف بغيرهم من الملائكة الموكلين بأعمال أخرى من لا يعلم عددهم إلا خالقهم تبارك وتعالى.

٣- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمه عليهم وشرفهم عنده كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا تَخْذَلَ الرَّحْمَنُ وَلَدَّا سَبَحَنَهُ، بَلْ عِبَادُكُمْ كُمْرُونَ﴾ * لَا يَسِّرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦، ٢٧). وقال جل وعلا ﴿بِأَيَّدِي سَفَرَةَ * كِرَامِ بَرَرَةَ﴾ (عبس: ١٥، ١٦). فوصفهم بأنهم مكرمون منه سبحانه. وقال تعالى في حقهم ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِأَيْلَلٍ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (فصلت: ٣٨) فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سامة. كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا لشرفهم عنده. فقال: ﴿وَالصَّافَتِ صَفَا * فَالزَّجَرَتِ زَجَرَا * فَالثَّنَيَتِ ذَكْرَا﴾ (الصفات: ٣-١). وقال عز وجل: ﴿فَالنَّرِقَتِ فَرَقَا * فَالْمُلْقَيَتِ ذَكْرَا﴾ (المرسلات: ٤، ٥). وشوأهـ صور إكرام الملائكة وتنوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تخفي على متذمـ مما يحتمـ تقرير هذا في الشرع والله أعلم.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٤)، واللفظ مسلم.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢).

٤- اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله على ما دلت على ذلك النصوص: قال تعالى: **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** (الحج: ٧٥). وقال عز وجل: **﴿لَنْ يَسْتَنِكُفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ﴾** (النساء: ١٧٢) فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدل على فضلهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش. وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتح به صلاة الليل فيقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة..^(١)). وأفضل الثلاثة جبريل عليه السلام وهو الموكل باللوحي، فشرفه بشرف وظيفته. وقد ذكره الله في كتابه بما لم يذكر غيره من الملائكة، وسماه بأشرف الأسماء، ووصفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعالى: **﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾** (الشعراء: ١٩٣). وقال عز وجل: **﴿نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾** (القدر: ٤). وقد ورد هذا الاسم مضافاً إلى الله تعالى إضافة تشريف. قال تعالى: **﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَّرًا سَوِيًّا﴾** (مريم: ١٧). وورد مضافاً إلى القدس، قال تعالى **﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾** (النحل: ١٠٢) والقدس هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين. وما جاء في وصفه قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَوِيفٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدِهِ الْعَرْشُ مَكِينٌ * مُطَّاعٌ شَمَّامِينِ﴾** (التكوير: ١٩-٢١). وقال تعالى **﴿عَامَهُ، شَدِيدُ الْقُوَى ***

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٦/١٥٦، والنسائي في السنن: ١٧٣/٣، برقم (١٦٢٥)، ونحوهما مسلم في الصحيح، برقم (٧٧٠)، وأبي ماجة، برقم (١٣٥٧).

ذُو مَرَّةٍ فَأَسْتَوَى》 (النجم: ٥، ٦) فوصفه الله تعالى بأنه رسول وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السموات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن).

٥- موالاهم والخذر من عداوتهم لقوله تعالى: **《وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنْ أُولَئِكَ أَعْبَضُ》** (التربة: ٧١) فدخل الملائكة في هذه الآية لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم كما أخبر الله عنهم **《لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ》** (التحريم: ٦). وأخبر جل وعلا عن موalaة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: **《وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ》** (التحريم: ٤) وقال عز وجل: **《هُوَ الَّذِي يُصْلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتَهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ》** (الأحزاب: ٤٣). وقال: **《إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهِ شَمَّسَتْقَمُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْرِبُوا》** (فصلت: ٣٠). فوجبت موalaة الملائكة على المؤمنين لموالتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم. وقد حذر الله تعالى من عداوة الملائكة فقال: **《مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَنَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَافِرِينَ》** (البقرة: ٩٨). فأخبر أن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عادهم فقد عادى ربه.

٦- الاعتقاد بأن الملائكة حلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. كما أنه لا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة لهم، بل يجب إخلاص العبادة لخالقهم وخالق الخلق أجمعين، الذي لا شريك له في ربوبيته وألوهيته ولا مثيل له في أسمائه

وصفاته. وقد بين الله تعالى ذلك فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَنَعَّذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنِّسَاءَ أَرْبَابًا أَيَّامَكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٠). وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَنْحَذُ الْرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادُ مُنْكَرُونَ لَا يَسْقِيُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّهِ مُشْفَقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْفَاتٌ إِلَّا لَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٢٦-٢٩). فأخبر سبحانه أنه لم يأمر عبادهم وكيف يأمر بعبادهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزعه نفسه عن ذلك، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد. ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم، فظهر من ذلك أنهم عباد مربوبون لا حول لهم ولا قوّة إلا بربهم وحالقهم.

٧- الإيمان المفصل: من جاء التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسنّة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت وماروت، ورضاون، ومنكر ونكير، وغيرهم من جاءت النصوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعثيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة: كحملة العرش، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظخلق، والموكلين بحفظ الأجنحة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين، إلى آخر من أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

فيجب الإيمان بذلك إيماناً مفصلاً على نحو ما جاء في النصوص من أسمائهم وصفاتهم، ووظائفهم، وأخبارهم، والتصديق بكل ذلك مما سيأتي بيانه في البحث القادم إن شاء الله تعالى.

فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث وظائف الملائكة

الملائكة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيراً من الأعمال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهن القدرة على تأديتها على أكمل وجه. وهم بحسب ما هيأهم الله تعالى له وكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسليه عليهم الصلاة والسلام وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ رُوحَ الْأَمِينِ﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٥) وقد تقدم أنه لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينٍ (الشعراء: ١٩٣-١٩٥) وقد تقدم أنه أفضل الملائكة وأكرمهم على الله، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته.

ولم يره النبي ﷺ في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، وبقية الأوقات يأتيه في صورة رجل. رأه مرة بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ أَهْلُ الْأَفْوَقِ الْمُثِينِ﴾ (النکور: ٢٣). ورأه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (الجم: ١٣-١٥).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن تفسير الآيتين المتقدمتين فقال: (إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظِمُ حَقِّهِ ما

بين السماء إلى الأرض^(١).

ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام وقد ورد ذكره في القرآن. قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَكِيْتَهُ وَرُسُلِهِ وَجِنِّيْلَ وَمِيكَنَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَفَرِيْنَ ﴾ (البقرة: ٩٨) وهو ذو مكانة عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل، وعطهما على الملائكة، مع أهلاً من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام. وكذا ورد ذكره في السنة على ما تقدم في دعاء النبي ﷺ في صلاة الليل أنه يقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ..)^(٢) ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة.

ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضليين المتقدم ذكرهم. وهو أحد حملة العرش. والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال: قرن ينفخ فيه)^(٣) ورواه أيضاً الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.^(٤)

وأخرج الإمام أحمد والترمذمي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحني جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر)، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال:

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٦/١٥٦، والنسائي في السنن: ٢١٣/٢، برقم (١٦٢٥)، ونحوه مسلم في الصحيح برقم (٧٧٠)، وابن ماجه برقم (١٣٥٧) ..

(٣) المسند: ١٦٢/٢، ١٩٢.

(٤) المستدرك: ٤/٥٨٩، ٢/٥٠٦، واللفظ للحاكم.

قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا^(١) قال الترمذى حديث
حسن. وصححه غيره من أهل العلم.

وينفح إسراويل في الصور ثلاث نفحات: نفحة الفزع، ونفحة الصعق،
ونفحة البعث. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَقَرِيزٌ مَّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ ۝ (النمل: ٨٧). وهذه هي نفحة الفزع وقد دل على
النفحتين الآخريين قوله تعالى : ﴿ وَنَفْخَ فِي الصُّورِ فَصَاعِقٌ مَّنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝
(الزمر: ٦٨).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت قال تعالى: ﴿ قُلْ
يُنَوِّفُنَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ رَيْبُكُمْ تَرْجِعُونَ ۝ (السجدة: ١١).
وملك الموت أعون من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، فإن كان محسناً
ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئاً ففي أشعن هيئة.
قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝
(الأعراف: ٦١).

ومنهم الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، وقد ورد ذكره في حديث
خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم
استجابتهم له وفيه يقول النبي ﷺ : (إِنَّمَا بِسَحَابَةِ قَدْ أَظْلَلَنِي، فَنَظَرْتُ
إِنَّمَا فِيهَا جَبَرِيلَ، فَنَادَنِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمَكَ لَكَ وَمَا رَدَوا
عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجَبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شَاءَ فِيهِمْ، فَنَادَنِي مَلَكُ
الْجَبَالِ) .

(١) المسند: ٧/٣، وسنن الترمذى: ٤/٦٢٠، برقم (٢٤٣١)، ٥/٣٧٣-٣٧٢، برقم (٣٢٤٣).

الجبال. فسلم علي ثم قال: يا محمد. فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأنحبين. فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(١). والأنحبان: هما جبلان مكة: أبو قبيس والذى يقابلة.

ومنهم الملك الموكل بالرحم على ما دل عليه حديث أنس بن مالك رض عن النبي ﷺ قال: (إن الله عز وجل وكل ملكاً يقول: يا رب! نطفة. يا رب! علقة. يا رب! مضغة. فإذا أراد أن يقضى خلقه، قال: أذكر أمنى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه)^(٢).

ومنهم حملة العرش قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمْلُؤُنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ أَمْنَوْا﴾ (غافر: ٧). وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْمِيزَانِ﴾ (الحاقة: ١٧). قال بعض العلماء: الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون) وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة^(٣).

ومنهم حزنة الجنة. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ أَتَّقَوْرَبُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زَمْرَاحَقَ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتَحَتْ أَتْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ حَزَنَتْهَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طَبِّسُمْ فَادْخُلُوهَا خَلِيلِينَ﴾ (الزمر: ٧٣). وقال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدِّنِ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَابِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذَرِيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (الرعد: ٢٣).

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١٨)، ومسلم برقم (٢٦٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١٢٠/٧).

ومنهم حزنة النار عيادةً بالله منها وهم الزبانية. ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوكُمْ يُخْفِفُ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٩). وقال تعالى: ﴿ فَلَيْلَهُ نَادِيهُ، * سَنَدْعُ الْبَانَةَ ﴾ (العلق: ١٧، ١٨). وقال تعالى: ﴿ عَلَيْهَا سَعْةُ عَشَرَ * وَمَاجَعَنَا أَحْبَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَيِّكَهُ وَمَاجَعَنَا عِدَّهُمْ إِلَّا فِتْنَهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (المثاث: ٣١، ٣٠). وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَمَنَّا لِكَيْضَ عَلَيْنَا رَبُّكُ ﷺ قَالَ إِنَّكُمْ مَذَكُورُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٧). وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه حازن النار ورؤيه النبي ﷺ له، ففي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رأيت الليلة رجلين أتياي فقالا: الذي يوقد النار مالك حازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل) ^(١).

ومنهم زوار البيت المعمور: يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه على ما ثبت من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (... ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم) ^(٢).

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطْوِفُونَ فِي الْطَّرِقَاتِ لِتَمْسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِذَا وَجَدُوكُمْ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادُوا هَلْمَوْا إِلَى

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٦).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٤)، واللفظ مسلم.

حاجتكم قال فيحفوهم بأحتحتهم إلى السماء الدنيا ...)^(١) قال العلماء: وهؤلاء الملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق.

وقد ثبت أيضاً أهم يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام لما روى أحمد والنسيائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ : (إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام)^(٢).

ومنهم الكرام الكاتبون وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ عَلِيَّكُمْ لَتَنْفِذُنَّ * كَرَامًا كَثِيرَنَّ * يَعْلَمُونَ مَا تَفَعَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ١٠-١٢). وقال تعالى: ﴿ إِذْنَنَّكَ الْمُتَلْقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَيْدٌ * مَا يَفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْدٌ ﴾ (ق: ١٧، ١٨) قال مجاهد في تفسير الآية: ملك عن يمينه وآخر عن يساره فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر.

ومنهم الموكلون بفتحة القبر وسؤال العباد في قبورهم وما منكر ونكير. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة. أخرج الشیخان من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، فإنه ليس معه قرع نعالمهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعده من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً)^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٨٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) المسند: ٤٥٢/١، وسنن النسائي: ٤٣/٣، برقم (١٢٨٢)، واللفظ لأحمد.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٧٤)، ومسلم برقم (٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري.

وأخرج الترمذى وابن حبان عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: (إذا قبر الميت أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ...) ^(١) الحديث. قال الترمذى حديث حسن.

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة من يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالملائكة :

وللإيمان بالملائكة ثمراته العظيمة على المؤمن فمن ذلك :

- ١ - العلم بعظمة خالقهم عز وجل وكمال قدرته وسلطانه.
- ٢ - شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.
- ٣ - محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

(١) سنن الترمذى: ٣٨٥/٣، برقم ١٠٧٣)، والاحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٣٨٦/٧، برقم ٣١١٧)، واللفظ للترمذى.

الفصل الثاني: الإيمان بالكتب المنزلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد في تعريف الوحي لغة وشرعا وبيان أنواعه.

المبحث الأول : حكم الإيمان بالكتب وأدله.

المبحث الثاني : كيفية الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث : بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى

دخلها التحرير وسلامة القرآن من ذلك.

المبحث الرابع : الإيمان بالقرآن وخصائصه.

نَهْيٌ

في تعريف الوحي لغة وشرعاً وبيان أنواعه

التعريف اللغوي :

الوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي. ويطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام. وكل ما ألقته على غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان وهو لا يختص بالأنباء ولا بكونه من عند الله تعالى.

والوحي بمعناه اللغوي يتناول :

١- الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى. قال تعالى: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهَا أُمَّ مُوسَىٰ أَنَّ أَرْضَعِيهِ﴾** (القصص: ٧).

٢- الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: **﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَيْهِ الْحَلَلَ أَنَّ أَنْجِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُوَوْنَةً﴾** (النحل: ٦٨).

٣- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه. قال تعالى **﴿فَرَأَىٰ قَوْمَهُ مِنَ الْمِهْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَيَحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** (مرم: ١١).

٤- وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه. قال تعالى: **﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوَحِّنُ إِلَيْهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾** (الأنعام: ١٢١).

٥- ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَيَّ الْمَلِئَكَةَ أَفِي مَعْكُمْ فَتَبْثُوا الَّذِينَ مَأْمُونُوا﴾** (الأنفال: ١٢).

التعريف الشرعي :

هو «إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة».

أنواع الوحي :

لتلقي الوحي من الله تعالى طرق بينها الله تعالى بقوله في سورة الشورى: «وَمَا كَانَ لِشَرِّيْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَأَيِّ حَجَابٍ أَوْ يُرِسِّلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ» (الشورى: ٥١). فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى: الوحي المحرد وهو ما يقدّمه الله في قلب الموحى إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله. ودليله قوله تعالى: «إِلَّا وَحْيًا» (الشورى: ٥١). ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رض عن النبي ص أنه قال: (إن روح القدس نفث في روحي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب) أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في سنته وغيرهم^(١). وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء في المنام كرؤيا إبراهيم عليه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله: «قَالَ يَبْنَىَ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» (الصفات: ١٠٢). وكرؤى النبي ص في بداية البعثة على ما روى

(١) موارد الطمأن (١٠٨٤، ١٠٨٥)، والمستدرك (٤/٢)، وسنن ابن ماجه (٢١٤٤)، وابن أبي الدنيا في القناعة، واليهقى في شعب الإيمان (المغني عن حمل الأسفار: ٤١٩، ٨٩٥) والبغوي ج ١٤ برقم ٣٠٤ (٤١١٢).

الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) ^(١).

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة كما ثبت ذلك بعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه. قال تعالى: ﴿ وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٤). وقال: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ ﴾ (الأعراف: ٤٣). وتكليم الله للأدم. قال تعالى: ﴿ فَنَلَقَنَّا إِدْمَ مِنْ رَبِّهِ كَلْمَتٍ ﴾ (البقرة: ٣٧). وتكليم الله تعالى لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة. ودليل هذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿ أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ ﴾ (الشورى: ٥١).

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الملك. ودليله قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرِسَّلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (الشورى: ٥١). وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، وبلغه جبريل لحمد ﷺ. قال تعالى : ﴿ وَلَهُ لَنَزَّلَ إِلَيْهِ الْحَمْدُ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٩٤-١٩٢). وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (النحل: ١٠٢).

وجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال :

(١) صحيح البخاري برقم (٣)، وينحوه في صحيح مسلم برقم (١٦٠).

١- أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلق عليها ولم يحصل هذا إلا مرتين كما تقدم تقريره في الفصل السابق.^(١)

٢- أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال.

٣- أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كما أمر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين.^(٢)

وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين في إجابتة للحارث بن هشام لما سأله رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيي مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه على، فيفصّم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلماني فأعطي ما يقول)^(٣) متفق عليه. ومعنى فصّم: أي أغلق وانكشف.

(١) انظر ص ١١٣.

(٢) انظر ص ١٠٦.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢)، ومسلم برقم (٢٣٣٣).

المبحث الأول

حكم الإيمان بالكتب وأدلته

تعريف الكتب :

الكتب جمع كتاب. والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا، ثم سمى به المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَبِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (النساء: ١٥٣) يعني صحيفة مكتوبًا فيها.

والمراد بالكتب هنا : الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رسليه عليهم السلام. سواء ما ألقاه مكتوبًا كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب.

حكم الإيمان بالكتب :

الإيمان بكتب الله التي أنزل على رسليه كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَرَأُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَئِكَتِهِ وَكُنْتِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦). فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورسوله وهو محمد ﷺ

والكتاب الذي أنزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالتوراة، والإنجيل، والزبور، ثم بين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضلالاً بعيداً وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكتب الله. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الِّرَّأْسَ تُولُوا وُجُوهُكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَبِ وَالنَّبِيِّنَ ﴾ (البقرة: ١٧٧). فأخبر عز وجل أن حقيقة البر: هو الإيمان بما ذكر من أركان الإيمان، والعمل بخصال البر الواردة في الآية بعد هذا. وذكر من أركان الإيمان: «الإيمان بالكتاب» قال ابن كثير: هو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء. حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب^(١).

ولتقرير الإيمان بالكتب كلها أمر الله عباده المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿ قُولُوا إِنَّا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَاهُمْ وَإِنَّا سَعِيلُ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦). فتضمنت الآية إيمان المؤمنين بما أنزل الله عليهم بواسطة رسوله ﷺ، وما أنزل على أعيان الرسل المذكورين في الآية، وما أنزل على بقية الأنبياء في الجملة وأنهم لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض فانتظم ذلك الإيمان بجميع الرسل وكل ما أنزل الله عليهم من الكتب.

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٧/١.

والآيات في تقرير هذا من كتاب الله كثيرة.

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك حديث جبريل، وسؤاله النبي ﷺ عن أركان الإيمان، فذكر النبي ﷺ في إجابته: الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان. وقد تقدم الحديث بنصه في الفصل السابق فأغنى عن إعادته هنا^(١).

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنزلها على رس勒 بالحق والمهدى والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئاً منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

ثمرات الإيمان بالكتب :

وللإيمان بالكتب آثاره العظيمة على المؤمن فمن ذلك :

- ١- شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.
- ٢- ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.
- ٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثل كلامه.

(١) انظر ص ١٠٦.

المبحث الثاني كيفية الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان. وهي :

١- التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله عز وجل، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد سبحانه . قال تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيْمُ * نَزَّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدَّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ الْتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا يَأْتِيَنَا عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتَقامَ﴾ (آل عمران: ٤٢).

فأخبر الله عز وجل أنه أنزل هذه الكتب المذكورة وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن من عنده وهذا يدل على أنه هو المتكلم بها وأنها منه بدأت لا من غيره، ولذا توعد في نهاية السياق من كفر بآيات الله بالعذاب الشديد.

وقال مخيراً عن التوراة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ﴾ (السائدة: ٤٤) فيبين أنه تعالى هو الذي أنزل التوراة وأن ما فيها من المهدى والنور منه سبحانه. وقال تعالى في سياق آخر مبيناً أن التوراة من كلامه وذلك في معرض إنجباره عن اليهود ﴿أَفَنَظَمَّعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا كُلُّمَا وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَنَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَاقَلُوهُ﴾ (البقرة: ٧٥) فكلام الله الذي سمعوه ثم حرقوه هو التوراة. قاله السُّدِّي وابن زيد وجمع من المفسرين.

وقال تعالى في الإنجيل ﴿ وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ (المائدة: ٤٧) أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلام الله.

وقال في القرآن الكريم: ﴿ الرَّكِبَتُ أَخْكَمَتْ، أَيْنَهُمْ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَيْرٍ ﴾ (هود: ١). وقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْفُرْقَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (النحل: ٦). وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَّزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَّبِّكَ ﴾ (النحل: ١٠٢) . وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجَارَكَ فَأَجْرِهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ ﴾ (التوبه: ٩). وإنما أمروا أن يسمعوا القرآن الذي أنزله على رسوله ﷺ فهو كلام الله على الحقيقة.

٢- الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْتُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٧٩). وبين الله أنه ما ينبغي لأحد من البشر، آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة، أن يأمر الناس أن يتخدزوه إلها من دون الله. وذلك أن كتب الله إنما جاءت بإخلاص العبادة لله وحده.

وقال تعالى مبيناً أن كتبه جاءت بالحق والهدى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرِيهَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ٤٣). وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ (البقرة: ٢١٣). وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرِيهَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ ﴾ (المائدة: ٤٤). وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَىٰ وَنُورٌ ﴾ (المائدة: ٤٦). وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ

فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلْكَاسِ وَبَيَّنَتِ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ (البقرة: ١٨٥). إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة أن كتب الله تعالى قد جاءت بالهدي والنور من الله تعالى.

٣- الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً فلا تناقض بينها ولا تعارض كما قال تعالى في القرآن ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمَنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨). وقال في الإنجيل: ﴿وَإِنَّمَا أَنْتَنَا إِلَيْنِي هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقٌ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ (المائدة: ٤٦). فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامه كتب الله من كل تناقض أو تعارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعالى في وصف القرآن ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

٤- الإيمان بما سمي الله عز وجل من كتبه على وجه المخصوص، والتصديق بها، وياخبار الله ورسوله عنها. وهذه الكتب هي :

أ) التوراة : وهي كتاب الله الذي آتاه موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَنَا مُوسَى الْكِتَبَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ الْأُولَى بَصَارِ لِلنَّاسِ﴾ (القصص: ٤٣). وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث أنس بن مالك عليه مرفوعاً: (.. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتَ هُنَّا كُمْ وَيُذَكَّرُ خَطْيَتِهِ الَّتِي أَصَابَهَا وَلَكِنْ أَئْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ

وكلمه تكليما^(١) . وقد ألقى الله التوراة على موسى مكتوبة في الألواح وفي ذلك يقول سبحانه **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَنَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ** (الأعراف: ١٤٥) . قال ابن عباس (يريد ألواح التوراة) . وفي حديث احتجاج آدم وموسى من رواية أبي هريرة رض عن النبي صل : .. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده) أخرجاه في الصحيحين من طرق كثيرة^(٢) . والتوراة هي أعظم كتب بني إسرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله على موسى وقد كان على العمل بها أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى كما قال تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْأَنْتِيُوْنُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا أَسْتَحْفِظُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهِدَاء** (المائدة: ٤٤) . وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليهود للتوراة وتبديلها على ما سألي بسط هذا في البحث القادم إن شاء الله.

ب) الإنجيل : وهو كتاب الله الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام . قال تعالى : **وَقَفَّيْنَا عَلَيْهِ أَثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ إِلَيْنِيْلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِيْنَ** (المائدة: ٤٦) . وقد أنزل الله الإنجيل مصدقا للتوراة وموافقا لها كما تقدم في الآية السابقة.

قال بعض العلماء^(٣) : لم يخالف الإنجيل التوراة إلا في قليل من الأحكام مما

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤١٠) ، ومسلم برقم (١٩٣) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٦١٤) ، ومسلم برقم (٢٦٥٢) ، وفي إحداها: «وكتب لك التوراة بيده».

(٣) تفسير ابن كثير (٣٦/٢) .

كأنوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأَحَلَّ
لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران: ٥٠).

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشرة
نبينا محمد ﷺ. قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي أَتَمَّ الَّذِي
يَحْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وقد لحق الإنجيل من التحرير ما لحق التوراة، كما سيأتي بيانه في
المبحث القادم بحول الله.

ج) الربور : وهو كتاب الله الذي أنزله على داود عليه السلام. قال
 تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاؤَدَ زُبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣). قال قتادة في تفسير الآية: «كنا
 نحدث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتحميد الله عز وجل ليس فيه حلال
 ولا حرام ولا فرائض ولا حدود».

د) صحف إبراهيم وموسى : وقد جاء ذكرها في موضوعين من كتاب
 الله، الأول في سورة النجم في قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَتَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
 مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَقَتَ * الْأَنْزُرُ وَأَزْرَهُ وَزَرْ أَخْرَى * وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَنِ إِلَّا
 مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٦-٣٩). و الثاني في سورة الأعلى ، قال تعالى: ﴿قَدْ
 أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ أَسْمَرِيهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى
 * إِنَّ هَذَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى: ١٤-١٩). فأخبر
 الله عز وجل عن بعض ما جاء في هذه الصحف من وحيه الذي أنزله
 على رسوليه إبراهيم وموسى عليهما السلام. والعلم عند الله.

هـ) القرآن العظيم : وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، وهو آخر كتب الله نزولاً وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانت دعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن. قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمًا عَلَيْهِ﴾** (المائد: ٤٨) ومهيمناً: أي شهيداً على ما قبله من الكتب وحاكمها عليها. وقال تعالى: **﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيَقِنٍ وَبِئْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَنْعَمْ﴾** (الأنعام: ١٩). وقال عز وجل: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** (الفرقان: ١). وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتنزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنها، وما قصّ علينا من أخبار أهلها.

٥- الاعتقاد البخاذ بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسليه، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحداً من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره. والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة. قال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** (الفرقان: ١). وقال عز وجل: **﴿يَأَهَلُ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُبَشِّرًا لَكُمْ كَيْثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفَوْنَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْقُوْنَكُمْ كَيْثِيرًا قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَنْبَابِ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَبٌ مُبَشِّرٌ * يَهْدِي بِهِ**

اللهَ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ يَادِنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥، ١٦﴾ (المائدة: ١٥، ١٦).

وقال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَزَّلْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَاجَاءَ كَمِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٤٨)، وقال أيضاً ﴿وَإِنْ أَحَدْ حَكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَنَزَّلْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحَدُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾ (المائدة: ٤٩).

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً، ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه أحمد والبزار والبيهقي^(١) وغيرهم وهو حديث حسن مجموع طرقه. ومعنى متهموكون: متحيرون.

فهذا ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال وسيأتي تفصيل ما يجب اعتقاده في القرآن على وجه الخصوص في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

(١) مسند الإمام أحمد: ٣٨٧/٣، وكشف الأستار: ١٣٤، وشعب الإيمان للبيهقي: (١٧٧).

المبحث الثالث

بيان أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى المنزلة دخلها التحرير وسلامة القرآن من ذلك

تحريف أهل الكتاب لكلام الله :

أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتب الله
المنزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: «أَفَنَظَمْعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَمَّا أَلْلَهُ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»
(البقرة: ٧٥). وقال عز وجل: «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَّا عَنْ
مَوَاضِعِهِ» (النساء: ٤٦).

وقال تعالى مخبرا عن النصارى: «وَمِنَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّا نَصْرَرَى أَخْذَنَا
مِنْتَهِمْ فَسُوا حَظًا مَمَّا ذَكَرُوا إِلَهٌ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُتَبَّعُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ *
يَتَاهَلَّ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» (المائد: ١٤، ١٥).

فدللت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنزلة عليهم.

وقد كان هذا التحرير بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدلليل الزيادة قوله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ
هَذَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ لِيَسْتَرُوا إِلَيْهِ شَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَنَبُتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ
لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» (البقرة: ٧٩).

ودليل النقص قوله تعالى: **﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُبَيِّنٌ لَكُمْ كَيْثِرَأْمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ﴾** (المائدة: ١٥).

وقوله تعالى: **﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى فُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجَعَّلُونَهُ قَرَاطِيسَ تَبُدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾** (الأنعام: ٩١).

تحريف التوراة والإنجيل وأدلة ذلك :

هذا ما جاء في تحريف أهل الكتاب لكلام الله وكتبه في الجملة. وأما التوراة والإنجيل خاصة فقد دلت الأدلة ما تقدم وغيرها على وقوع التحريف فيهما.

فمن أدلة تحريف التوراة قوله تعالى: **﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى فُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجَعَّلُونَهُ قَرَاطِيسَ تَبُدُّونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمَتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَتَرُوا لَاءَ بَاءَ وَكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾** (الأنعام: ٩١). وجاء في تفسير الآية: (أي يجعلون الكتاب الذي جاء به موسى في قراطيس تضعونه فيها ليتم لكم ما تريدونه من التحريف والتبديل وكتم صفة النبي ﷺ المذكورة فيه).

وقال تعالى: **﴿أَفَنَظَمُуُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَنَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا﴾** (البقرة: ٧٥) قال السدي في تفسير الآية: (هي التوراة حرفوها). وقال ابن زيد: (التوراة التي أنزلها عليهم يحرفوها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا).

ودليل تحريف الإنجيل قوله تعالى: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْدِرَى**

أَخْذُنَا مِيَثَاقَهُمْ فَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَتَّهِمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَأْهَلُ الْكِتَبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْقُوْعَنْ كَثِيرًا ﴿١٤-١٥﴾ (المائدة: ١٤-١٥). قال بعض أئمة التفسير في تفسير الآية الأخيرة: (أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه^(١)).

فدللت هذه الآيات على وقوع التحرير والتبدل في التوراة والإنجيل. وهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحرير والتغيير.

سلامة القرآن من التحرير وحفظ الله له وأدلة ذلك :

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحرير والتبدل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إياه كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرَلَنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾ (الحجر: ٩). قال الطبرى في تفسير الآية: «قال وإن للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفراصه^(٢)». كما أخبر الله في آيات أخرى عن تمام إحكامه للقرآن وتفصيله وتنزييه من كل باطل فقال عز من قائل: ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

(١) تفسير ابن كثير ٦٣/٣.

(٢) تفسير ابن حجر ١٤/٧.

حَكِيمٌ حَمِيدٌ ﴿ فصلت: ٤٢﴾ . وقال تعالى: ﴿ الَّرَّبُّ كَتَبَ أُحْكَمَاتٍ ، إِنَّهُ مِنْ فَضْلَتِهِ مِنْ لَذْنَ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ (هود: ١) . وقال عز وجل: ﴿ لَا تَنْهِرْ كِبِيرَهُ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿ القيمة: ١٦، ١٧﴾ .

فدللت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظاً ومعنى بـ دعاء بنزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليماً من كل تغيير أو تبديل. إذ تكفل بتعليمه لنبيه ﷺ ، ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذين حفظوه في الصدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليماً منزهاً من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمسكار، غضاً طرياً كما أنزل من الله على رسوله ﷺ .

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلى سر لطيف ونكتة بدعة تتعلق بجواز التحريف على التوراة وعدم جوازه على القرآن على ما روى أبو عمرو الداني عن أبي الحسن المتتاب قال: (كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم حاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة ﴿ بِمَا أَسْتُحِفْظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (المائدة: ٤٤) فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديل عليهم. وقال في القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) فلم يجز التبديل عليهم. قال: فمضيت إلى أبي عبدالله الحاملي فذكرت له الحكاية فقال: «ما سمعت كلاماً أحسن من هذا».

المبحث الرابع

الإيمان بالقرآن وفضائله

تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوى والفرق
بينهما :

القرآن الكريم: هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولها، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، ونزل به على خاتم رسله محمد ﷺ بلفظه ومعناه المقبول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبدل.^(١)

والحديث القدسي: هو ما رواه النبي ﷺ عن ربه باللفظ والمعنى ونقل إلينا آهاداً أو متواتراً ولم يبلغ تواتر القرآن.^(٢)

ومثاله حديث أبي ذر الغفارى عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (يا عبادى، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محظماً فلَا تظلموا).^(٣)

والحديث النبوى: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف.^(٤)

والفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبي: أن القرآن متعدد

(١) الطحاوية ١٧٢/١. مباحث في علوم القرآن لشاعرقطان، ص ٢١، وقواعد التحديد لجمال الدين القاسمي ص ٦٥.

(٢) انظر قواعد التحديد لجمال الدين القاسمي ص ٦٥.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٤) مصطلح الحديث لابن عثيمين ص ٧، وقواعد التحديد للقاسمي ص ٦١-٦٢.

بتلاوته معجز في نظمه متعددى به، يحرم مسنه لحدث، وتلاوته نحو جنب، وروايته بالمعنى، وتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حرف منه حسنة والحسنة عشر حسناً. بخلاف الحديث القدسي والحديث النبوي فإنهما ليسا كذلك.

والفرق بين الحديث القدسي والنبوى: أن الحديث القدسي من كلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوى فهو من كلام النبي ﷺ لفظاً ومعنى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوى وذلك لفضل كلام الله على كلام المخلوقين.^(١)

خصائص الإيمان بالقرآن :

الإيمان بكتاب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليها والمتبع به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد ﷺ ونزول هذا الكتاب عليه، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لابد من تحقيقها للإيمان به بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالاً. وهذه الخصائص هي :

- ١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحداً منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه. قال تعالى: ﴿بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١). وقال تعالى مخيراً على لسان نبيه ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَن لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَنُ﴾ (الأنعام: ١٩). وقال تعالى إخباراً عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قَوْنَةً أَنَّا عَجَبْنَا

(١) انظر قواعد التحديد للقاسبي ص ٦٥-٦٦.

* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَعَمَّا يَهْدِي **﴿﴾** (الجن: ٢١).

٢- اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه، قال تعالى: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** (آل عمران: ٨٥). وقال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِمَّا أَرْتَكَ اللَّهَ أُنْكَارًا﴾** (النساء: ١٠٥). وقد تقدم في حديث جابر بن عبد الله رض هي النبي ﷺ أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب قوله: (... والذى نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني) ^(١).

٣- ساحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال التي فرضت على أصحابها. قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَنْهَىٰ إِيمَانَهُمْ مَكْثُورًا عِنْهُمْ فِي الْتَّورَةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الظَّبَابَتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَيِثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِضْرَارَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾** (الأعراف: ١٥٧).

٤- أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللغطي أو المعنوي. قال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾** (الحجر: ٩). وقال تعالى: **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** (فصلت: ٤٢). وقال عز وجل مبيناً تكفله بتفسيره وتوضيحه على ما أراد

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٣٨٧/٣، وغيره.

وشرع: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْءَانَهُ، * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَلَيْلَهُ قُرْءَانَهُ، * شَمَّ إِنَّ عَلَيْنَا يَسِيرَانَهُ﴾ (القيمة: ١٧-١٩). قال ابن كثير في تفسير الآية الأخيرة: «أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا». وقد هيأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيام، من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يدعوا مجالاً من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألفوا فيه المؤلفات المطلولة، فمنهم من ألف في تفسيره، ومنهم من ألف في رسمه وقراءاته، ومنهم من ألف في ملخصه ومتناهيه، ومنهم من ألف في ناسخه ومدنية، ومنهم من ألف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألف في أسباب نزوله، ومنهم من ألف في أمثاله، ومنهم من ألف في إعجازه، ومنهم من ألف في غريبه، ومنهم من ألف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي تخسد من خلاها حفظ الله لكتابه بما هيأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظاً يقرأ ويفسر غضاً طرياً كما أنزل.

٥- أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلى قيام الساعة، على ما روى الشیخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًّا أو حواه الله إلى فارجو أن أكون أكثراهم تابعاً يوم القيمة»^(١). ومن صور إعجاز القرآن حسن تأليفه وفصحته وبلغته وقد وقع التحدي للإنس والجنة على أن يأتوا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢).

بمثيله أو ببعضه على مراتب ثلاثة: فقد تحداهم الله على أن يأتوا بهم فعجزوا وما استطاعوا. قال تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾** (الطور: ٣٢، ٣٤). وقال عز وجل مقرراً عجزهم عن ذلك **﴿قُلْ لَيْنَ اجْتَمَعَتِ الْإِلَاسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِلُ ظَهِيرَاً﴾** (الإسراء: ٨٨). ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا. قال تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ، مُفْتَرِيَّتِ وَأَدْعُوَمِنْ أَسْتَطْعُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (هود: ١٣). ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه فما استطاعوا. قال تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَأَدْعُوَمِنْ أَسْتَطْعُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (يونس: ٣٨). فثبت بهذا إعجاز القرآن على أبلغ وجه وأكده، لما عجز الخلق عن معارضته بأدنى مراتب التحدي، وهو الإتيان بسورة من مثله، وأقصر سورة في القرآن ثلاثة آيات.

٦ - أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، ودنياهم، ومعاشرهم، ومعادهم. قال تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** (النحل: ٨٩). وقال تعالى: **﴿مَা فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾** (الأنعام: ٣٨). قال ابن مسعود رض: «أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بين لنا في القرآن».

٧ - أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكرة والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾** (القمر: ١٧). وقال تعالى: **﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَدْبُرُوا بِأَيْتَهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أَفْلُوا أَلَّا لَنْبِر﴾** (ص: ٢٩). قال مجاهد في تفسير الآية الأولى: «يعني هوئاً قراءته». وقال

السدي: «يسرنا تلاوته على الألسن». وقال ابن عباس: «لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله»^(١). وقد ذكر الطبرى وغيره من أئمة التفسير أن تيسير القرآن يشمل تيسير اللفظ للتلاوة وتيسير المعانى للتفكير والتدبر والاعتزاز^(٢)، وهو كذلك كما هو ملاحظ ومشاهد.

- ٨ - أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل. قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨). وقال تعالى: ﴿ شَرَعْ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَضَّيْ بِهِ نُورًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيْهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

- ٩ - أن القرآن مشتمل على أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله. قال تعالى: ﴿ وَكَلَّا نَفْعُلْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نَثِيْتُ بِهِ فَوَادَكَ ﴾ (هود: ١٢٠). وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (هود: ١٠٠). وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَفْعُلْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدَّسْبَقْ وَقَدْ أَيْنَتَكَ مِنْ لَدُنَنَا ذِكْرًا ﴾ (طه: ٩٩).

- ١٠ - أن القرآن هو آخر كتب الله نزولاً وختامها والشاهد عليها. قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالإِنْجِيلَ * مِنْ قِلْهَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران: ٤، ٣). وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٢/٨.

(٢) تفسير ابن حجر ٩٦/٢٧.

الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمَنًا عَلَيْهِ 》 (المائدة: ٤٨)

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى مما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملاً. والله تعالى أعلم.

الفصل الثالث:

الإيمان بالرسل

ويحتوي على أحد عشر مبحثاً :

المبحث الأول : حكم الإيمان بالرسل وأدلةه.

المبحث الثاني : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

المبحث الثالث : كيفية الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع : ما يجب علينا نحو الرسل.

المبحث الخامس : أولو العزم من الرسل.

المبحث السادس : خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته مع بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق.

المبحث السابع : ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده.

المبحث الثامن : الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدنته.

المبحث التاسع : القول الحق في حياة الأنبياء عليهم السلام.

المبحث العاشر : معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.

المبحث الحادي عشر : الولي والولاية في الإسلام.

المبحث الأول

حكم الإيمان بالرسل وأدلته

الإيمان برسول الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُلُّهُمْ وَرْسُلُهُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٥). فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبين أهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمّنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعاً.

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصْرٍ وَنَكْفُرُ بِعَصْرٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا﴾ (النساء: ١٥١، ١٥٠). فأطلق الكفر على من كذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًا أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة. كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ أَمْتَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٥٢). فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفرق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون

بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى.

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وقد دل على ذلك حديث جبريل المتقدم بنصه في مبحث «الإيمان بالملائكة» وفيه أن النبي ﷺ أجاب لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ..)^(١) الحديث. فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

وفي دعاء النبي ﷺ في التهجد عند قيام الليل أنه كان يقول: (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاوك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبتون حق، والساعة حق...)^(٢).

فشهادة النبي ﷺ أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة وتقديمه ذلك بين يدي دعائه وقيامه دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء ومكانته في الدين.

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكبر خصال الإيمان وأن من كذب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيم كفراً صريحاً بمحضه هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

(١) تقدم ص ١١٣

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٩٩).

ثمرات الإيمان بالرسل :

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمن

ذلك :

- ١ - العلم برحمـة الله تعالى وعـنـياتـه بـخـلقـه حيث أـرـسلـ إـلـيـهـمـ أـوـلـئـكـ الرـسـلـ الكـرـامـ لـلـهـدـيـةـ وـالـإـرـشـادـ.
- ٢ - شـكـرـ اللهـ عـلـىـ هـذـهـ النـعـمـةـ الـكـبـرـىـ.
- ٣ - حـبـةـ الرـسـلـ وـتـوـقـيـرـهـمـ وـالـشـاءـ عـلـيـهـمـ بـمـاـ يـلـيقـ بـهـمـ لـأـنـهـمـ رـسـلـ اللهـ تـعـالـىـ وـخـلـاـصـةـ عـبـيـدـهـ، وـلـاـ قـامـواـ بـهـ مـنـ تـبـلـيـغـ رسـالـةـ اللهـ خـلـقـهـ وـكـمـالـ نـصـحـهـمـ لـأـقـوـامـهـ وـصـبـرـهـمـ عـلـىـ أـذـاهـمـ.

المبحث الثاني

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي في اللغة : مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة. قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ (النَّبِيٌّ: ٢٠، ١). وسمى النبي نبياً لأنَّه مُخَبِّرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخَبِّرٌ ومُخْبِرٌ. وقيل النبي مشتق من النبأة: وهي الشيء المرتفع.

وسمى النبي نبياً على هذا المعنى: لرفعه محله على سائر الناس. قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلَيْنَا﴾ (مرثى: ٥٧).

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبراً عن ملائكة سبأ: ﴿وَلِقَ مُرْسَلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظَرُوا إِمَّا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النَّمَاءُ: ٣٥).

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها:

أن النبي : هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

والرسول : هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

والفرق بينهما :

أن النبي هو من نبأ الله بأمره ونفيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله
ويدعوهم إلى عبادته.

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشرعية جديدة فقد كان يوسف على
ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا على شريعة التوراة وكلهم رسل. قال
تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بَالْبَيْنَتِ فَازْلَمُتُمُ فِي شَكٍّ مَّمَاجَأَةٍ كُمْ
بِهِ حَقَّ إِذَا هَلَكَ فَلَمْ تَرَكْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ (غافر: ٣٤).
وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيُوْسُسَ
وَهَنْدُونَ وَسُلَيْمَانَ وَإِتَّيْنَا دَاؤِدَ زُبُورًا * وَرَسُلًا لَّا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِ
وَرَسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٣، ١٦٤).

وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا دَعَمَنَّ الْقَوْمَ الشَّيْطَانُ فِي أُمَّتِيهِ ﴾ (الحج: ٥٢) فذكر
الله عز وجل أنه يرسل النبي والرسول. وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي
بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد.
وأما الإرسال المطلق فهو يرسل الرسول إلى عامة الخلق من الكفار
والمؤمنين.

المبحث الثالث

كيفية الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالاً وتفصيلاً.

فبالإيمان المجمل :

هو التصديق الحازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهـم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يبعد من دون الله. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّلْمَوْتَ ﴾ (النحل: ٣٦). وبأنهم جميعهم صادقون، بارون، راشدون، كرام ببرة، أتقياء أمناء، هداة مهتلون. قال تعالى: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس: ٥٢). وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل: ﴿ وَمَنْ أَبَىٰ لَهُمْ وَذَرْتَهُمْ وَإِخْرَزْتَهُمْ وَاجْتَنَبْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (الأنعام: ٨٨، ٨٧).

وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والمهدى المستبين جاعوا بالبيانات من رهـم إلى أقوامهم. قال تعالى حكاية عن أهل الجنة : ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ (الأعراف: ٤٣). وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتِ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد: ٢٥). وبأن أصل دعوـهم واحدة وهي الدعوة إلى توحـيد الله وأما شرائعهم

فمختلفة. قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِنَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ » (الأنبياء : ٢٥). وقال عز وجل : « لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرِعَةً وَمِنْهَا جَاءَ » (المائدة : ٤٨).

وبأكمل قد بلغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق. قال تعالى : « لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَنَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا » (الجن : ٢٨). وقال تعالى : « رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » (النساء : ١٦٥).

ويجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء. وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة. قال تعالى : « قَاتَلَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ تَخْنُنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » (إبراهيم : ١١). وقال تعالى عن نوح : « وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَالِكٌ » (هود : ٣١). وقال عز وجل أمراً نبينا محمدًا ﷺ أن يقول لقومه : « قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَالِكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ » (الأنعام : ٥٠).

وما يجب اعتقاده أيضاً في حق الرسل أنهم منصورو مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم. قال تعالى : « إِنَّا نَنْصُرُ رَسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَرَوُونَ الْأَشْهَدَنَدَ » (غافر : ٥١). كما يجب اعتقاد تقاضل الرسل على ما أخبر عز وجل في قوله تعالى : « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهَ » (البقرة : ٢٥٣).

فيجب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنّة عن الرسل على وجه العموم إيماناً بمحلاً.

وأما الإيمان المفصل :

فيكون بالإيمان بمن سمي الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته منه —، إيماناً مفصلاً على نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا إِتَّيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ رَفِعْ دَرَجَتِ مَنْ نَشَاءَ إِنَّ رَبَّكَ حِكْمَةٌ عَلَيْهِمْ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ دُرْيَتِهِ دَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَرُونَ وَكَذَلِكَ بَعْزِي الْمُخْسِنِينَ * وَزَكَرِيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّاسَ كُلُّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلَّاً فَضَلَّنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** (الأنعام: ٨٢-٨٦). وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: **﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾** (الأعراف: ٦٥). وقال: **﴿وَإِلَىٰ مَوْدَأَخَاهُمْ صَنِلْحًا﴾** (الأعراف: ٧٣). وقال: **﴿وَإِلَىٰ مَدَيْنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾** (الأعراف: ٨٥). وقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَّ مَادَمَ وَبُوْحَا﴾** (آل عمران: ٣٣). وقال: **﴿وَلِسَمْكِعِيلَ وَلِدِرِيسَ وَذَا الْكِفَلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾** (الأنبياء: ٨٥). وقال: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾** (الفتح: ٢٩). فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيماناً مفصلاً، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم، كالتخاذ الله إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم

خليلين لقوله تعالى: **«وَأَنْعَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»** (النساء: ١٢٥). ولقول النبي ﷺ: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) أخرجه مسلم^(١). وكتكيلم الله تعالى لموسى لقوله تعالى: **«وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»** (النساء: ١٦٤). وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحون بتسبيحه، قال تعالى: **«وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ»** (الأنبياء: ٧٩). وإلابة الحديد لداود كما قال تعالى: **«وَلَقَدْ ءاَتَيْنَا دَاؤُودَ مِنَ فَضْلًا يَعْجَلُ أَوْيَ في مَعْهُ وَالْطَّيْرَ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ»** (سباء: ١٠). وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قال تعالى: **«وَلِسَلِيمَانَ الْرَّيْحَ غُدُوٌ هَاشِرٌ وَرَوْحٌ هَاشِرٌ وَأَسْلَنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ»** (سباء: ١٢). وتعليم سليمان منطق الطير، قال تعالى: **«وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاؤُودَ وَقَالَ يَتَأَيَّهَا أَنَّا شَعَرْنَا عَلَيْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»** (آل عمران: ١٦).

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله عز وجل في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم. كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قصص الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيماناً مفصلاً بحسب ما جاءت به النصوص. وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل. والله تعالى أعلم.

(١) صحيح مسلم برقم (٥٣٢).

المبحث الرابع

ما يجب علينا نحو الرسل

يجب على الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنزلهم الله من المنازل الرفيعة في الدين، وما رفعهم الله إليه من الدرجات السامية الجليلة عنده، وما شرفهم به من المهام النبيلة وما اصطفاهم به من تبليغ وحيه وشرعه لعامة خلقه. ومن هذه الحقوق:

١- تصدقهم جيئاً فيما جاءوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك. قال تعالى: **«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطْكَأَعْيَادَرْبِ اللَّهِ»** (النساء: ٦٤). وقال تعالى: **«وَاطِّبِعُوا أَنَّهُ وَاطَّبِعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا إِنْ قَوَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَغُ الْمُبِينُ»** (المائد: ٩٢). وقال عز وجل : **«إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَصِّنَا وَنَكْفُرُ بِعَصِّنَا وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا»** (النساء: ١٥١، ١٥٠). فيجب تصدق الرسل فيما جاءوا به من الرسالات وهذا مقتضى الإيمان بهم.

وما يجب معرفته أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المعمود للناس كافة، إذ أن شريعته جاءت ناسخة لجميع شرائع الأنبياء قبله فلا دين إلا ما بعثه الله به ولا متابعة إلا لهذا النبي الكريم. قال تعالى: **«وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ أَإِسْلَمَ دِينَنَا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ**

فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٨٥﴾ (آل عمران: ٨٥). وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
كَافَّةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ (سـ٢٨: ٢٨).
وقال تعالى: «فُلُّ يَكَائِنُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .. ﴿١٥٨﴾ (الأعراف: ١٥٨).

٢- موالهم جميعاً ومحبتهم والحدر من بغضهم وعداوهم.

قال تعالى: «وَمَنْ يَتُولَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَلَيْبُونَ ﴿٥٦﴾ (المائدة: ٥٦). وقال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أَوْلَاءُهُنَّ بَعْضٌ ﴿٧١﴾ (التوبـة: ٧١). فتضمنت الآية وصف المؤمنين بموالاة بعضهم البعض فدخل في ذلك رسول الله الذين هم أكمل المؤمنين إيماناً وعليه فإن موالهم ومحبتهم في قلوب المؤمنين هي أعظم من موالاة غيرهم من الخلق لعلو مكانتهم في الدين ورفعه درجاتهم في الإيمان. ولذا حذر الله من معاداة رسـله وعطفها في الذكر على معاداة الله وملائكته وقرن بيـنـهما في العقوبة والجزاء. فقال عـزـ من قـائلـ: «مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجِنِّيـلـ وَمِـيـكـنـلـ فـإـنـ اللـهـ عـدـوـ لـلـكـفـرـيـنـ ﴿٩٨﴾ (البـقـرـةـ: ٩٨).

٣- اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسـالة اصطفـاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقـه ولا تـالـ بالـاجـهـادـ وـالـعـمـلـ. قال تعالى: «اللـهـ يـصـطـفـيـ مـنـ الـمـلـكـيـكـةـ رـسـلـاـ وـمـنـ النـاسـ إـنـ اللـهـ سـمـيـعـ بـصـيرـ ﴿٧٥﴾ (الـحـجـ: ٧٥). وقال تعالى: «وَتِلْكَ حُجَّتَنَا إِنَّهـا إِبـرـاهـيـمـ عـلـىـ قـوـمـهـ نـرـفـعـ دـرـجـتـ مـنـ دـشـاءـ ﴿٨٣﴾ (الـأـنـعـامـ: ٨٣). إلى أن قال بعد ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والمرسلين: «وَكـلـاـ لـأـفـضـلـنـاـ عـلـىـ الـعـلـمـيـنـ ﴿٨٦﴾ (الـأـنـعـامـ: ٨٦). وقد تقدم نـقـلـ هـذـاـ السـيـاقـ فيـ

المبحث الأول من هذا الفصل.

كما دلت السنة أيضاً على أن منزلة الرسل لا يبلغها أحد من الخلق لما رواه الشيوخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)^(١) وفي رواية للبخاري: (من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)^(٢). قال بعض شراح الحديث: «إنه ﷺ قال هذا زجراً أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن العزيز من قصته». وبين العلماء: «أن ما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من النبوة مثقال ذرة وخص يونس بالذكر لما ذكر الله من قصته في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَذَا الْنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَلَمَّا أَنَّ لَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَنَحَنَّهُ مِنَ الْفَجَرِ وَكَذَلِكَ نُثْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧، ٨٨). وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... الْآيَات﴾ (الصفات: ١٣٩-١٤٨).
٤- اعتقاد تقاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا في درجة واحدة بل فضل الله بعضهم على بعض. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرِجَاتٍ﴾ (القراءة: ٢٥٣). قال الطبراني في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلٍ فضلَتْ بعضُهم على بعضٍ، فكلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ وَرَفَعَتْ بَعْضُهم درجاتٍ على بعضٍ بالكرامة وَرَفْعَةِ الْمَنْزِلَةِ». فإنَّ زَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ مَنْزِلَتِهِ فِي الْفَضْلِ وَالرَّفْعَةِ بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم على الأمة.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤١٦)، ومسلم برقم (٢٣٧٦)، واللطف للبخاري.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٠٤).

٥- الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخير الله بإبقاءه الثناء الحسن على رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعالى عن نوح: **﴿وَرَكَنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمَيْنَ﴾** (الصفات: ٧٩، ٧٨). وقال عن إبراهيم: **﴿وَرَكَنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾** (الصفات: ١٠٩، ١٠٨). وقال عن موسى وهارون: **﴿وَرَكَنَّا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرَةِ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾** (الصفات: ١٢٠، ١١٩).

وقال تعالى: **﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾** (الصفات: ١٨١). قال ابن كثير: «قوله تعالى **﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمَيْنَ﴾** (الصفات: ٧٩) مفسراً لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه جميع الطوائف». وقد نقل الإمام النووي إجماع العلماء على جواز الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها. قال: «أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ. وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالاً وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء».

فهذه طائفة مما يجب للرسل من حقوق على هذه الأمة مما دلت عليه النصوص وقرره أهل العلم. والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس

أولو العزم من الرسل

أولو العزم من الرسل هم : ذtero الحزم والصبر. قال تعالى : **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾** (الأحقاف: ٣٥).

وقد اختلف العلماء فيهم. فقيل المراد بأولي العزم هم جميع الرسل. و«من» في قوله **﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾** لبيان الجنس لا للتبسيط. قال ابن زيد: «كل الرسل. كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل».

وقيل هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم. قال ابن عباس: «أولو العزم من الرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى». وبهذا القول قال مجاهد وعطاء الخراساني، وعليه كثير من متأخري أهل العلم.

وقد ذكر الله هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتابه وبه استدل لهذا القول. الأول في سورة الأحزاب. قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَلًا غَلِيظًا﴾** (الأحزاب: ٧). والثاني في سورة الشورى.

قال تعالى : **﴿شَرَعْ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنِّيَّهُ، نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّنَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَفْعُمُ الَّذِينَ وَلَا نَنْقُرُ وَأَفْيُهُ﴾** (الشورى: ١٣).

قال بعض المفسرين: «ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل».

وهو لاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)^(١). وأفضلهم محمد صلوات الله وسلامه عليه على ما أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)^(٢).

(١) أخرجه البزار انظر كشف الأستار (١١٤/٣)، والميتمي في المجمع (٢٥٥/٨) وقال: «رجاله رجال الصحيح»، والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، المستدرك للحاكم: ٥٤٦/٢.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨)، وأبو داود: ٥/٣٨، برقم (٤٦٧٣).

المبحث السادس

خصائص نبينا محمد وحقوقه على أمتة مع بيان أن رؤية النبي في المنام حق

أولاً : خصائصه صلى الله عليه وسلم :

لقد خص الله تبارك وتعالى نبينا محمدًا ﷺ بكثير من الخصائص والمناقب التي فضله بها على غيره من المرسلين وميزه عن سائر العالمين. ومن هذه الخصائص :

1- عموم رسالته لكافحة التقليدين من الجن والإنس فلا يسع أحداً منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سما: ٢٨). وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١). قال ابن عباس رضي الله عنهم: «العالمين : الجن والإنس». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختتم بي النبيون) ^(١). وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراوي، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣).

أصحاب النار^(١).

٢ - أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَا كَانَ رَسُولًا لِّلَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠). وأخرج الشیخان من حديث أبي هريرة رض عن النبي ص قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلی كمثل رجل بنی بیتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين^(٢)). وهذه النصوص أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على هذه العقيدة كما أجمعت على تكفير من ادعى النبوة بعده رض ووجوب قتل مدعیها إن أصر على ذلك. قال الألوسي: «وكونه رض خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدحت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعی خلافه ويقتل إن أصر».

٣ - أن الله أیده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كلام الله المحفوظ من التغيير والتبدل، الباقي في الأمة إلى أن يأذن الله برفعه إليه. قال تعالى: ﴿قُلْ لِّيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْأَنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِلَ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨). وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكَفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ يُتَلَأَ عَلَيْهِمْ إِرْبَكٌ فِي ذَلِكَ لَرْحَمَةٌ وَذِكْرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنکبوت: ٥١). وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رض عن النبي ص أنه قال: (ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٥٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٨٦)، واللفظ للبخاري.

عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أو حاه الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة^(١).

٤- أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة. قال تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاكُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوَمُّنُونَ بِاللَّهِ﴾** (آل عمران: ١١٠). وعن معاوية بن حيدة القشيري رض أنه سمع النبي ص يقول في قوله تعالى **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾** قال: (إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)^(٢). وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ص في قبة فقال: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة). قلنا: نعم. قال: (والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)^(٣).

٥- أنه سيد ولد آدم يوم القيمة. فعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: (أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢).

(٢) أخرجه أبُو حمْدَةَ في المسند: ٤٤٧، والترمذى وقال حديث حسن، والترمذى: ٥/٢٢٦، برقم (٣٠٠١)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٥٢٨)، ومسلم برقم (٢٢١).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨). ونقدم صفة ١٠٩.

٦- أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضى بينهم رحيم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩). وقد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاحد وقتادة وغيرهم. وقال قتادة: «كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيمة». وقد دلت السنة كذلك على شفاعته ﷺ في أهل الموقف كما جاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشیخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: (فيأتونني فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واسفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علميها ثم أشفع ..) ^(١) الحديث.

٧- أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيمة، ويكون الناس تبعا له وتحت رايته واحتضن به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمله بها غيره. ذكر هذا بعض أهل العلم. وقد دلت السنة على اختصاصه بهذه الفضيلة العظيمة. فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيمة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ

(١) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم برقم (١٩٣).

آدم فمن سواه، إلا تحت لواطي، وأنا أول من تشق عنه الأرض ولا فخر^(١).

٨- أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى عليه الله بها عشراء، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تتبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سألي الوسيلة حللت له الشفاعة)^(٢).

إلى غير ذلك من خصائصه ومناقبه ﷺ، الدالة على علو درجته عند ربه، وسمو مكانته في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدا.

ثانياً : حقوق النبي ﷺ على أمتة :

حقوق النبي ﷺ على أمتة كثيرة وقد تقدم ذكر بعضها فيما يجحب على الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة. وفيما يلي عرض بعض حقوقه الخاصة على أمتة، وهي :

١- الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته بجميع الرسالات السابقة. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما

(١) أخرجه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذى /٥٨٧/٥، برقم (٣٦١٥)، وبحسوة الإمام أحادى في المسند: ٢/٣: .

(٢) رواه مسلم برقم (٣٨٤).

فهي عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: **﴿فَقَاتَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورُ الَّذِي أَنْزَلَنَا﴾** (التغابن: ٨). وقال تعالى: **﴿فَقَاتَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي أَلْمَتَهُ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبَعُهُ لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ﴾** (الأعراف: ١٥٨). وقال عز وجل: **﴿وَمَا أَنْكُمُ الرَّسُولُ فَحُذُّرُوهُ وَمَا نَهَنُكُمْ عَنِهِ فَانْهُوَا﴾** (الحشر: ٧). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكوة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحساهم على الله^(١)).

٢- وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبتها فيه، وما من شر إلا وفهي الأمة عنه وحذرها منه. قال تعالى : **﴿الَّيْمَنْ أَكْلَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نَعْمَلِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** (المائدة: ٣). وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: (.. وَأَئِمَّةُ اللهِ لَقَدْ تَرَكْتُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لِيَلْهَا وَهَارِهَا سَوَاءٌ^(٢)). وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم: (وَأَنْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنِي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ). قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدیت ونصحست. فقال

(١) صحيح البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢).

(٢) سنن ابن ماجة (المقدمة): ١/٤، برقم (٥).

يأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: (اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات) ^(١). وقال أبو ذر رض: (لقد تركنا محمد ص وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما) ^(٢). والآثار في هذا كثيرة عن السلف رحمة الله.

٣- محبته ص وتقلص محبته على النفس وسائر الخلق. والمحبة وإن كانت واجبة لعلوم الأنبياء والرسل إلا أن نبينا ص مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَنَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَبَفُطُومَهَا وَتَبَرَّزَهُ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنَتُكُنْ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْفِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ ﴾ (التوبه: ٢٤). فقرن الله محبة رسوله ص بمحبته عز وجل وتوعده من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله -توعدهم بقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْفِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ ﴾. وفي الصحيحين من حديث أنس رض قال: قال النبي ص: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) ^(٣). وعن عمر رض أنه قال للنبي ص: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ص: (لا

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله في حجة النبي ص، برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه أبوداين في المسند: ١٥٣٥.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

والذى نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك). فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي. فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر)^(١).

٤- تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي ﷺ التي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْزِزُوهُ وَتُوقَرُوهُ﴾ (الفتح:٩). وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧). قال ابن عباس: «تعزروه: تخلوه. وتوقيره: تعظمه». وقال قتادة: «تعزروه: تنصروه. وتوقيره: أمر الله بتسويمه». وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَفْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات:١). وقال عز وجل : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الْرَّسُولِ يَنْتَكِمُ كُمْ كُدُّعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور:٦٣). قال مجاهد: «أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجهم». وقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثال في تعظيم النبي ﷺ. قال أسامة بن شريك: «أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير». وتعظيم النبي ﷺ واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عياض: «واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسننته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته».

(١) رواه البخاري من حديث عبدالله بن هشام برقم (٦٦٣٢).

٥- والصلاحة والتسليم على النبي ﷺ والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمَّنُوا صَلَوَأَعْلَمَهُ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦). قال المبرد: «أصل الصلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله». وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمَا عن النبي ﷺ أنه قال: (من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً^(١)). وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل على^(٢)). والصلاحة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم فهي متأكدة في حق نبينا ﷺ ومن أعظم حقوقه على أمته وهي واجبة عليهم ولذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة على أمته. وقد صرخ العلماء بوجوب الصلاة على النبي ﷺ ونقل بعضهم الإجماع على ذلك. قال القاضي عياض: «اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاحة عليه، وحمله الأئمة والعلماء على الوجوب وأجمعوا عليه».

٦- الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا البحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه عز وجل.

(١) رواه مسلم برقم (٣٨٤).

(٢) رواه الترمذى ٥٥١/٥ رقم ٣٥٤٦ وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند: ٢٠١/١.

٧ - تجنب الغلو فيه والحد من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له عليه السلام. قال تعالى أمراً نبيه عليه السلام أن يخاطب الأمة بقوله: **﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْبَشَ رَبُّكُمْ كُوَحًا إِلَى أَنَّمَا إِلَّا هُكْمُ اللَّهِ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾** (الكهف: ١١٠). وبقوله: **﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّمَا أَتَّبِعُ الْأَمَانَوْحَى إِلَيَّ ﴾** (الأنعام: ٥٠).

فأمر الله نبيه عليه السلام أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس له من مقام الربوبية شيء وليس هو بملك إنما يتبع أمر ربه ووحيه. كما حذر النبي عليه السلام أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: (لا تطروني كما أطربت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله)^(١). والإطراء: هو المدح بالباطل وبمحاوزة المدح في المدح ذكره ابن الأثير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي عليه السلام فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله عليه السلام: (أجعلتني الله نداءً بل ما شاء الله وحده)^(٢). فحذر النبي عليه السلام من الغلو فيه وإنزاله فوق منزلته، مما يختص به الرب عز وجل. وفي هذا تنبية إلى غير ما ذكر من أنواع الغلو فإن الغلو في النبي عليه السلام محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي عليه السلام التي تصل إلى حد الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٥)، وبنحوه الإمام أحمد في المسند: ٢٢١.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ١/٤٢١، وبنحوه ابن ماجة في السنن برقم (٢١١٧).

لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه **الذبح** له أو **النذر** له أو **الطواف** بقبره أو استقبال قبره بصلوة أو عبادة فكل هذا حرام لأنه عبادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال عز وجل: **﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَمَّا يَأْتِي وَمَمَّا فِي اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذِلِّكَ أُمِرْتُ وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾** (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

٨- ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجهم وموالاتهم جميعاً والخذر من تقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم. فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: **﴿ وَالَّذِينَ جَاءُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْفِرْنَا كَا وَلَإِخْرُونَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءاْمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾** (الحشر: ١٠). وقال تعالى في حق قرابة رسوله ﷺ وأهل بيته: **﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾** (الشورى: ٢٣). جاء في تفسير الآية: «قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودوا قرابتي». وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم **رضي الله عنه** أن رسول الله ﷺ قام خطيباً في الناس فقال: (أما بعد ألا أنها الناس. فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربنا فأحبيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيه المدى والنور. فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به). فتحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في

أهل بيتي، أذْكُر كُم الله في أهل بيتي)^(١). فأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى أهل بيته وأن يُعرف لهم قدرهم وحقهم، لقربهم منه وشرفهم. كما أوصى النبي ﷺ بأصحابه خيراً ونهي عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري رض عن النبي ﷺ قال: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)^(٢) أخرجه الشيخان. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسول الله ﷺ وقرباته وأزواجها وما كانوا يُعدون الطعن فيهم إلا علامة الزين والضلال. قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل يتقصّ أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق». وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ (أي بسوء) فاقْتُلْه على الإسلام».

فهذه بعض حقوق النبي ﷺ على أمته على سبيل الإيجاز والاختصار والله تعالى الهادي لنا ولإخواننا على تأديتها والعمل بها.

ثالثاً : بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق :

دلت السنة على إمكانية رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رأه في المنام فقد رآه.

فعن أبي هريرة رض قال: قال النبي ﷺ: (من رأى في المنام فقد رأى). فإن

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤١)، واللفظ للبخاري.

الشيطان لا يتمثل بي)^(١) أخرجه مسلم. وفي لفظ آخر أخرجه الشیخان من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من رأى في المنام فسیرانی في اليقظة، ولا يتمثل الشیطان بي)^(٢) قال البخاری قال ابن سیرین: «إذا رأى في صورته». وعن حابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (من رأى في النوم فقد رأى فإنه لا ينبغي للشیطان أن يتشبه بي)^(٣) رواه مسلم.

فدللت الأحاديث على صحة رؤية النبي ﷺ في المنام وأن من رأى فرؤياه صحيحة لأن الشیطان لا يتصور في صورة رسول الله ﷺ على أنه ينبغي أن يتتبه إلى أن الرؤية الصحيحة لرسول الله ﷺ هو أن يُرى على صورته الحقيقة المعروفة من صفاتة، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة ولذا قال ابن سیرین: «إذا رأى في صورته» كما تقدم النقل عنه من صحيح البخاری. ولذا أورد البخاری قول ابن سیرین بعد ذكر الحديث على سبيل التفسير لمعنى الرؤية في الحديث. ويشهد لهذا ما أخرجه الحاکم من طريق عاصم بن کلیب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رأيت النبي ﷺ في المنام. قال: صفة لي. قال: ذكرت الحسن بن علي فشبھته به. قال: إنه كان يشبهه^(٤). قال ابن حجر سنه جيد.

وعن أیوب قال: «كان محمد - يعني ابن سیرین - إذا قص عليه رجل

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٦٦).

(٢) صحيح البخاری برقم (٦٩٩٣)، ومسلم برقم (٢٢٦٦).

(٣) مسلم برقم (٢٢٦٨).

(٤) المستدرک: ٤/٣٩٣، وصححه ووافقه النھی.

أنه رأى النبي ﷺ قال: صفت لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفها
قال: لم تره» نقله ابن حجر في الفتح وقال: سنته صحيح.

وأما قول النبي ﷺ: (من رأى في المنام فسيراني في اليقظة)، فللعلماء في
تفسير الرؤية في اليقظة أقوال أشهرها ثلاثة :

الأول : أنها على التشبيه والتمثيل وقد دل على هذا ما جاء في روایة
مسلم من حديث أبي هريرة وفيها: (فكأنما رأى في اليقظة).

الثاني : أنها خاصة بأهل عصره من آمن به قبل أن يراه.

الثالث : أنها تكون يوم القيمة. فيكون من رأه في المنام مزيد خصوصية
على من لم يره في المنام. هذا والله تعالى أعلم.

المبحث السابع

نقطة الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده

تقدّم الحديث عن هذه المسألة مع ذكر الأدلة عليها عند الحديث عن خصائص النبي ﷺ وأنه خاتم النبيين والحديث عن ختم الرسالة هنا هو من جانب آخر وهو أثر هذه العقيدة على دين المسلمين وثمرة تقريرها عليهم. فمن ثمار هذه العقيدة :

١- استقرار التشريع وكمال الدين لدى الأمة وأثر ذلك الكبير في حياة الأمة ولذا امتن الله على هذه الأمة بذلك في قوله تعالى: **﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بَعْدَمِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ أَلِيْسَلَمَ دِيْنَأُّ﴾** (السادة:٣). وقد كان نزول هذه الآية على النبي ﷺ في حجة الوداع قبل وفاته بأشهر بعد أن أكمل الله له التشريع. ولذا كان اليهود يغبطون المسلمين على هذه الآية على ما أخرج الشیخان أن رجلا من اليهود جاء إلى عمر رض فقال: آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا عشر يهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال وأي آية؟ قال: **﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾**^(١). وقد أبرز النبي ﷺ هذه الحقيقة في صورة محسوسة وذلك بتشبيهه الرسالات قبله بقصر أكمل وأحسن بناؤه إلا موضع لبنة، فكانت بعثته موضع تلك اللبنة ختم بها البناء، وفي هذا تقرير ظاهر إلى أنه لم يبق مجال للزيادة في هذا الدين خاصة ولا الرسالات عامة كما أنه لا يمكن الزيادة في ذلك القصر بعد أن اكتمل بناؤه. وقد تقدّم الحديث بنصه في المبحث السابق ضمن الحديث عن خصائص

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥)، ومسلم برقم (٣٠١٧).

النبي ﷺ فليراجع في موضعه.^(١)

٢- ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ﷺ بعثه نبياً آخر «ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعيته، وأما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفًا بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك، على أن عيسى عليه السلام إذا نزل إنما يتبع شريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة لأنها منسوخة فلا يتبع إلا بهذه الشريعة أصولاً وفروعًا».

٣- القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظر أو تأمل، وهذا من أبرز ثارات الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تحصل بها العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكذابين، وهذا كان التنبية على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثة في هذه الأمة كلهم يدعى النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيرًا للأمة من تصديقهم واتباعهم، كما جاء هذا في حديث ثوبان رضي الله عنه في الفتنة مرفوعاً للنبي ﷺ وفيه: (... وإنه سيكون في أمي ثلاثة كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)^(٢).

٤- ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حيث جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بين إسرائيل فإنهم كانت تسوسيهم الأنبياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسيهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء تكثرون). قالوا: فما

(١) انظر ص ١٧٠.

(٢) سنن الترمذى ٤٩٩/٤ برقم (٢٢١٩) وقال حديث حسن صحيح، وبحوره أبو داود عن أبي هريرة سنن

أبي داود ٤/٣٢٩ برقم (٤٣٣٤-٤٣٣٣).

تأمرنا؟ قال: (فوا ببيعة الأول فأ الأول وأعطوه حقهم فإن الله سائلهم عما استر عاهم)^(١). فكان مقام الخلفاء في الأمة مقام الأنبياء في بني إسرائيل في سياسة الناس وقيادتهم. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٢). وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظا بالخلفاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع، ولا يزال الله تعالى يجدد لهذه الأمة ما اندرس من عالم دينها على مر العصور والدهور بالأئمة المحددين الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويلي الجاهلين، فدين الله هم قائم غضا طريا على تطاول عهد البعثة وتقادم زمان الرسالة. وذلك فضل الله على هذه الأمة عامة ومن شرفه بهذا المقام خاصة. وعلى كل حال فقييدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه، إلى أن يأتي أمر الله.

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٥٥)، وصحيح مسلم برقم (١٨٤٢)، واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود ٣١٣/٤ برقم (٤٢٩١)، والحاكم وصححه ووافقة النهي، المستدرك ٥٢٢/٤ .

المبحث الثامن

الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته

تعريف الإسراء لغة وشرعًا :

الإسراء في اللغة : من السرى وهو: سير الليل أو عامته. وقيل: سير الليل كله.

ويقال : سرية، وأسرية. ومنه قول حسان:

أسرت إليك ولم تكن تسرى

والإسراء إذا أطلق في الشرع يراد به: الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بليلها ورجوعه من ليلته.

حقيقة الإسراء وأدلته :

والإسراء آية عظيمة أيد الله بها النبي ﷺ قبل الهجرة حيث أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق بصحبة جبريل عليه السلام حتى وصل بيت المقدس، فربط البراق بحلقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلى فيه بالأنبياء إماماً، ثم جاءه جبريل بإباء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن على الخمر فقال له جبريل: هديت للفطرة. وقد دل على الإسراء الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَامِنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَّكَنَا حَوْلَهُ لِرُزْيَهُ مِنْ إِيمَانِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: 1).

ومن السنة حديث أنس بن مالك الذي أخرجه مسلم في صحيحه من طريق ثابت البناي عن النبي ﷺ قال: (أتيت بالبراق «وهو دابة أبيض طوبل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند متهى طرفه» قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإماء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة^(١). ثم ذكر بقية الحديث وعروجه إلى السماء. وقد دل على الإسراء برسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما جاء في الصحيحين ومنها ما جاء في السنن وغيرها وقد رواه عن رسول الله ﷺ جمع من الصحابة نحو الثلاثين رجلاً ثم تناقلها عنهم مالا يحصي عدهم إلا الله من رواة السنة وأئمة الدين.

وقد اتفقت كلمة علماء المسلمين سلفاً وخلفاً وانعقد إجماعهم على صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق. نقل الإجماع على ذلك القاضي عياض في (الشفاء) والسفاريني في (لوعة الأنوار). والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقطة لا مناماً. فهذا هو الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققين من أهل العلم. قال ابن أبي العز الحنفي: (وكان من حديث الإسراء: أنه أسرى بجسده في القيمة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ..). وقال القاضي عياض مقرراً أن هذا هو الذي عليه عامة أهل العلم من الصحابة

(١) صحيح مسلم برقم (١٦٢).

فمن بعدهم: (وذهب معظم السلف وال المسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حبة البدرى، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقناة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جرير، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبرى وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين، وقول أكثر المتأخرین من الفقهاء والمحثثین والمتكلمين والمفسرین).

وقال أحد المحققين الأفذاذ في نقهـ لقولـ من زعمـ أنـ الإسراءـ مرتـانـ : (والصوابـ الذيـ عليهـ أئمةـ النـقلـ أنـ الإسرـاءـ كانـ مـرـةـ وـاحـدةـ بمـكـةـ بـعـدـ الـبعثـةـ . ويـاعـجاـ لـهـؤـلـاءـ الـذـيـنـ زـعـمـواـ أـنـ مـرـارـاـ كـيـفـ سـاـغـ لـهـمـ أـنـ يـظـنـواـ أـنـهـ فيـ كـلـ مـرـةـ تـفـرـضـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ خـمـسـيـنـ ثـمـ يـتـرـدـدـ بـيـنـ رـبـهـ وـبـيـنـ مـوـسـىـ حـتـىـ تصـيـرـ خـمـسـاـ ثـمـ يـقـولـ : (أـمـضـيـتـ فـرـيـضـيـ وـخـفـفـتـ عـنـ عـبـادـيـ) ثـمـ يـعـيـدـهـاـ فيـ المـرـةـ الثـانـيـةـ إـلـىـ خـمـسـيـنـ، ثـمـ يـحـطـهـاـ عـشـرـاـ عـشـراـ).

المراجـ وـحـقـيقـتـهـ :

الـحـدـيـثـ عـنـ الـمـرـاجـ هوـ قـرـيـنـ الـحـدـيـثـ عـنـ الإـسـرـاءـ فـيـ النـصـوـصـ وـكـلـامـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـلـذـاـ كـانـ مـنـ الـمـنـاسـبـ التـعـرـيفـ بـهـ تـمـيـماـ لـلـفـائـدـةـ.

وـالـمـرـاجـ : مـفـعـالـ مـنـ الـعـرـوجـ . أـيـ الـآـلـةـ الـيـ يـعـرـجـ فـيـهاـ، أـيـ يـصـعدـ . وـهـوـ بـنـزـلـةـ السـلـمـ لـكـنـ لـاـ نـعـلـمـ كـيـفـيـتـهـ . وـالـمـقـصـودـ بـالـمـرـاجـ عـنـ الإـطـلاقـ فـيـ الـشـرـعـ: هوـ صـعـودـ النـبـيـ ﷺـ بـصـحـبـةـ جـبـرـيـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـ بـيـتـ الـمـقـدـسـ

إلى السماء الدنيا ثم باقي السموات إلى السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السموات على منازلهم وتسليمهم عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده إلى سدرة المنتهى، ورؤيته جبريل عندها على الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتکليم الله له بذلك ثم نزوله إلى الأرض. وكان المعراج ليلة الإسراء على الصحيح.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على المعراج. أما الكتاب فقد جاء فيه ذكر بعض الآيات العظيمة التي حصلت للنبي ﷺ ليلة المعراج كقوله تعالى: ﴿أَفَتَرُونَهُ عَلَىٰ مَيْرَىٰ * وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَلَوْقَىٰ * إِذْ يَعْشَى الْسِدْرَةُ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصُرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَى مِنْ أَيْمَانِ رَبِّهِ الْكَبُرَىٰ﴾ (النجم: ١٢-١٨). ذكر الله تعالى في هذا السياق الآيات العظيمة التي أكرم بها رسوله ﷺ ليلة المعراج كرؤيته جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، ورؤيته سدرة المنتهى وقد غشاها ما غشاها من أمر الله. قال ابن عباس ومسروق «غشيهما فراش من ذهب».

وقد جاء في السنة خبر المعراج مفصلاً في أكثر من حديث منها حديث أنس المتقدم في قصة الإسراء والذي سبق نقل ما يتعلق بالإسراء منه ثم قال النبي ﷺ: (ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير. (ثم ذكر عروجيه إلى السموات وملاقاته الأنبياء إلى أن قال): ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمارها كالقلال. قال: فلما غشيهما من أمر الله ما

غشيهها تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إلى ما أوحى. ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ. فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرهم. قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب حفف على أمتي. فحط عني خمسا. فرجعت إلى موسى. فقلت: حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد. إنك خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ..^(١) الحديث. أخرجه مسلم وقد جاء خير المراج بالفاظ متقاربة من حديث مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن عباس في الصحيحين وغيرهما.

تتبّيه :

الإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ والواجب على المسلم اعتقاد صحتهما وأنهما من ثواب عظيمتان احتضن الله بهما نبينا ﷺ من بين الرسل ولا يشرع للمسلم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كل ذلك بدعة منكرة لم يشرعها النبي ﷺ ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقل بها أحد من يقتدى به في العلم.

(١) صحيح مسلم برقم (١٦٢).

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وأمثالها: (من البدع التي أحدثت في دين الله، وأنه عمل غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام ولا ينشئ مثل هذا إلا جاحد مبتدع). وقد قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(١) أي مردود عليه.

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٩٧).

المبحث التاسع

القول في حياة الأنبياء عليهم السلام

دللت الأدلة على موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسى عليه السلام فإنه لم يمت بعد وإنما رفع إلى الله تعالى حيا على ما سيأتي بيانه.

فمن الأدلة على موت الأنبياء قوله تعالى: **﴿أَمْ كُنْتُمْ شَهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾** (الفرق: ١٣٣). وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ يَالْبَيْنَتِ فَإِذَا لَمْ فِي شَيْءٍ مَعَاجَاهُ كُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَعْشَرَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾** (غافر: ٣٤). وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِيَهِ إِلَادَابَةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَأَلَهُ﴾** (سباء: ١٤). وقال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾** (الزمر: ٣٠). قال بعض المفسرين نعيت للنبي ﷺ نفسه ونعيت إليهم أنفسهم ففي الآية الإعلام للصحابة بأنه يموت. وقال تعالى مخبرا عن موت كل نفس مخلوقة: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** (آل عمران: ١٨٥).

فدللت هذه الآيات على موت الأنبياء وأنهم يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله عز وجل عن عيسى عليه السلام من رفعه إليه كما قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْسَى إِنِّي مُتَوَقِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِنِّي وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** (آل عمران: ٥٥). فدللت الآية على رفع الله تعالى لعيسى بجسده وروحه إلى السماء وأنه لم يمت، وأما الوفاة المذكورة في الآية في

قوله تعالى **﴿مُتَوَفِّيكَ﴾** فقد جاء في تفسير الآية أن: «توفيه هو رفعه إليه»، وإلى ذلك ذهب ابن حرير الطبرى. وأكثر المفسرين على أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾** (الزمر: ٤٢). فتقرر بهذا أن عيسى حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موته قبل قيام الساعة. قال تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ إِلَّا يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾** (النساء: ١٥٩). والموت المذكور هنا هو موت عيسى عليه السلام في آخر الزمان بعد أن ينزل من السماء فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة في نزول عيسى في آخر الزمان وقد جاءت تلسك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

ومن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس عليه السلام، فقد ذكر بعض أهل العلم أنه لم يمت وإنما رفعه الله كما رفع عيسى عليه السلام واستدلوا بذلك بقوله تعالى: **﴿وَأَذْكُرْنِي الْكِتَبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقَنِيَّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْنَا﴾** (مريم: ٥٦، ٥٧). فعن مجاهد قال: إدريس رفع فلم يمت كما رفع عيسى. وعن ابن عباس قال: رفع إلى السماء فمات بها. وقال آخرون: رفع إلى السماء الرابعة والعلم في ذلك عند الله تعالى. وإنما القصد حصول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلابد أن يموت لعموم قوله تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآيِقَةُ الْمَوْتِ﴾**.

وأما ما عدا عيسى وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحد من أهل العلم المعتمد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم من النصوص وللواقع المشاهد من موتهم. لكن جاء في بعض النصوص ما أشكل فهمه

على البعض في هذا الباب مثل ما جاء عن النبي ﷺ في أحاديث المراجح من رؤيته لبعض الرسل في السماء وتکلیمه لهم على ما جاء في حديث أنس الذي أخرجه الشیخان وفيه: (ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبریل فقيل: من أنت؟ قال جبریل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليك.. قال: قد بعث إليك، ففتح لنا. فإذا أنا بأدّم، فرحب بي ودعا لي بخیر، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبریل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال جبریل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليك.. قال: قد بعث إليك، ففتح لنا. فإذا أنا بابني الحالة عیسی ابن مریم ویحیی بن زکریا صلوات اللہ علیہمَا فرحا بي ودعوا لي بخیر)^(١) إلى آخر الحديث وقد ذکر فيه رؤیا یوسف في السماء الثالثة وإذا هو أعطی شطر الحسن ورؤیا یہ ادريس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة ورؤیتہ إبراهیم في السماء السابعة مسندًا ظهره إلى البيت المعمور وأنهم كلهم رحبو به ودعوا له بخیر.

ومثل ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهمَا في الصحیحین عن النبي ﷺ أنه قال: (رأیت ليلة أسری بي موسى رجلاً آدم طوالاً كأنه من رجال شنوة، ورأیت عیسی رجلاً مربوعاً مربوعاً الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ..)^(٢) الحديث.

فهم بعض الناس من هذه النصوص ومن غيرها مما يماثلها عدم موت الأنبياء فاستدلوا بها على ما اعتقادوهم من حياة الأنبياء. والحق أن الأنبياء

(١) صحيح البخاري برقم (٣٥٧٠)، ومسلم برقم (١٦٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٣٩)، ومسلم برقم (١٦٥).

ماتوا إلا ما وردت به النصوص في حق عيسى عليه السلام وما اختلف فيه من أمر إدريس عليه السلام. وأما من عدّاهما فقد دلت النصوص على موثقهما قطعاً ولا شك في ذلك. وقد سبق نقل الأدلة عليه. وأما ما جاء في الأحاديث من إخبار الرسول ﷺ عن رؤية الرسل ليلة المراجعة وما جاء في معناه من النصوص الأخرى فحق ولا تعارض بين النصوص في ذلك. وذلك أن الذي رأى الرسول ﷺ هي أرواح الرسل مصورة في صور أبدائهم، وأما أجسادهم فهي في الأرض إلا من جاءت النصوص برفعهم، وهذا هو الذي عليه الأئمة المحققون من أهل السنة.

قال أحد الأئمة الراسخين في تحقيق هذه المسألة: (وأما رؤيته غيره من الأنبياء ليلة المراجعة في السماء لما رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو بالعكس، فهذا رأى أرواحهم مصورة في صور أبدائهم. قد قال بعض الناس: لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور، وهذا ليس بشيء. لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قيل في إدريس. وأما إبراهيم وموسى، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض).

وعلى أنه ينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالى كما أكرم رسleه برفع أرواحهم إلى السماء فهي تنعم على ما شاء الله فإنه حفظ أجسادهم في الأرض، وحرم على الأرض أن تأكل أجسادهم على ما ثبت ذلك من حديث أوس بن أوس رض قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على). فقالوا: يا

رسول الله. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول: بلست.
قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ حَرَمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادُ الْأَنْبِيَاءِ) ^(١).
وبهذا يتبيّن الحق في هذه المسألة المهمة وما يجب على المسلم اعتقاده فيها
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) رواه أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ: ٤/٨ وَأَبُو دَاوُدُ فِي السَّنْنَ: ٤٤٣/١ بِرَقْمِ (٤٤٧) وَالْدَّارْمَى فِي السَّنْنَ: ٣٠٧/١ بِرَقْمِ (١٥٨٠)، وَقَالَ الْإِمَامُ التَّنْوُرِيُّ إِسْنَادَهُ صَحِيحٌ.

المبحث العاشر

مجازات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء

التعريف بالمعجزة :

المعجزة : مأخوذة من العجز. وهو عدم القدرة.

جاء في القاموس : ومعجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدى
والهاء للمبالغة.

والمعجزة في الاصطلاح : أمر خارق للعادة يجري على أيدي الأنبياء
للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة.

فقولنا: خارق للعادة : أخرج ما ليس بخارق للعادة مثل ما يصدر من
الأنبياء من الأفعال والأحوال الطبيعية فهي ليست بمعجزات. وقولنا: يجري
على أيدي الأنبياء : أخرج الأمور الخارقة التي تجري على أيدي الأولياء
فهي ليست بمعجزات وإنما هي كرامات، لتابعاتهم للأنبياء ويخرج من باب
أولى ما يأتي به السحرة والكهان من الشعوذة فهذه لا تصدر إلا من شرار
الخلق. وقولنا للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة: أخرج ما يدعى به
المتنبئون الكذابون من الأمور الخارقة وكذلك السحرة فإنها لا تسلم من
المعارضة بل يعارضها أمثلهم من السحرة لأنها من قبيل السحر والشعوذة.

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء :

ومعجزات الأنبياء كثيرة :

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من

صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبوا^(١). يقول الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِنِّي شَمُودٌ أَخَاهُمْ صَلِّحَاقًا لَّيَقُولُمْ أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنِ اللَّهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بِإِنْسَانَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ إِيمَانٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا سُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٧٣).

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جعل الله النار التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردا وسلاما عليه. قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرَقُوهُ وَأَنْصُرُوهُ إِلَهُكُمْ إِنْ كُنُّمْ فَعَلَيْنَا * قُلْنَا يَنْتَرُكُونِي بِرْدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا إِيَّهِ كِيدَافًا جَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨-٧٠).

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة إذا ألقها إلى الأرض. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَلَكَ سَيِّمِينَكَ يَمْوَسَنِي * قَالَ هِيَ عَصَمَى أَتَوَكَّؤُزْأَعْلَيَهَا وَأَهْشِبَا عَلَى غَنِمِي وَلِي فِيهَا مَارِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَنِي * فَالْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخْفَ سَنِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأَوَّلَى﴾ (طه: ٢١-٢١). ومن معجزات موسى أيضا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلاألأ كالقمر من غير سوء. قال تعالى: ﴿ وَأَضْمَمْ بَدْكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِيَضْنَاءِ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ إِيمَانَ أُخْرَى﴾ (طه: ٢٢).

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٦/٣).

ينفع فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمه - وهو الأعمى - والأبرص فيبرآن بإذن الله، وينادي الموتى في قبورهم فيحييهم بإذن الله. قال تعالى: **﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً أَطْيَرٍ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾** (المائدة: ١١٠).

ومن معجزات نبينا ﷺ القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق. قال تعالى: **﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا سُورَةً مِّنْ مِّثْلِهِ وَأَدْعُو أُشْهَدَأَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (البقرة: ٢٣). وقال تعالى: **﴿قُلْ لَّيْسَ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُنَّ ظَهِيرًا﴾** (الإسراء: ٨٨). ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر عندما سأله أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر شقين فرأاه أهل مكة ورآه غيرهم. قال تعالى: **﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ * وَإِنَّ يَرَوْا إِيَّاهُ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ﴾** (القمر: ٢١). ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج. قال تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَلَامِقَ الْمَسَجِدَ الْحَرَامَ إِلَى الْمَسَجِدِ الْأَقْصَى﴾** (الإسراء: ١).

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصا معجزات نبينا محمد ﷺ فإن الله أいで بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لبني قبله وما سقته هنا إنما هو للتمثيل فقط.

التعريف بالكرامة :

الكرامة : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب ب الصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.

فقولنا : أمر خارق للعادة : أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.

وغير مقرون بدعوى النبوة: أخرج معجزات الأنبياء.

ولا هو مقدمة لها : أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقدم النبوة.

ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح .. : أخرج ما يجري على أيدي السحرة والكهان فهو سحر وشعبنة.

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمم الماضية. ومن ذلك ما أخبر الله به عن مريم عليها السلام. قال تعالى:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا كَازِكِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِيمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٣٧).

ومنها: ما أخبر الله به عن أهل الكهف على ما قص الله ذلك في كتابه.

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه كان يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته. وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه. وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهمما يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبع ما فيها. وخييب بن عدي رضي الله عنه كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى وكان يؤتى بعنبر يأكله وليس بمكة عنبرة.

ومر العلاء الحضرمي عليه بجيشه فوق البحر على خيولهم فما ابتلت سروج خيولهم. ووقع أبو مسلم الخولاني رحمه الله في أسر الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بnar فألقى فيها فوجدوه يصلّي فيها وقد صارت برقاً وسلاماً، وغير ذلك كثير مما هو منقول في كتب السير والتاريخ.

الفرق بين المعجزة والكرامة :

الفرق بين المعجزة والكرامة : أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة. بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يدعي النبوة وإنما حصلت له الكرامة باتباع النبي والاستقامة على شرعيه. فالمعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض الأئمة من العلماء : إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقة تدخل في معجزات الأنبياء لأن الكرامات إنما حصلت للولي باتباع الرسول، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه. ومن هذا يتبيّن أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة على خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنما اصطلاحاً عليهم العلماء فيما بعد وإن كانوا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقرر في النصوص من الحق.

حكم الإيمان بالمعجزات والكرامات :

الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصل من أصول الإيمان دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب على المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق. وإنما فالتكذيب بذلك أو إنكار شيء منه رد للنصوص ومصادمة للواقع والخراف كبير عما كان عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين في هذا الباب. والله تعالى أعلم.

المبحث الحادي عشر

الولي والولاية في الإسلام

تعريف الولي والولاية :

الولاية : ضد العداوة. وأصل الولاية : الحبة والقرب. وأصل العداوة: البعض والبعد.

والولاية في الاصطلاح : هي القرب من الله بطاعته. والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقوى. قال تعالى: **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَحْوِفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** (يونس: ٦٢، ٦٣).

تفاضل الأولياء :

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقوون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية الله. فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى.

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وأفضل أولي العزم محمد ﷺ - على ما تقدم ذلك في موضعه - ثم إبراهيم عليه السلام. ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقيين.

أقسام أولياء الله :

وأولياء الله على قسمين:

القسم الأول : سابقون مقربون.

القسم الثاني : أصحاب يمين مقتضدون.

وقد ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَنَاهَا كَذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُحِّتَ الْأَرْضُ رَجَّاً * وَبُسْتَ الْجِبَالُ بَسَّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْنَىً * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجَ ثَلَاثَةَ * فَأَصْحَبْتُ الْمَيْمَنَةَ مَا أَصْحَبْتُ الْمَيْمَنَةَ * وَأَصْحَبْتُ الْمَشْمَةَ مَا أَصْحَبْتُ الْمَشْمَةَ * وَأَسْبَقْتُ الْمَسِيقَوْنَ * أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ * فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ (الواقعة: ١-١٢).

فذكر ثلاثة أصناف. صنفا في النار وهم أصحاب الشمال وصنفين في الجنة وهم: أصحاب يمين وسابقون مقربون. وقد ذكرهما أيضا في آخر هذه السورة وهي سورة الواقعة فقال: ﴿فَامَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَامَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٨٨-٩١). وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء المشهور وهو حديث قدسي يرويه النبي ﷺ عن ربه وقد أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيَا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقْرَبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحْبَبَ إِلَيَّ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالْ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ إِنْدَمَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ سَمِعْتَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرْتَهُ الَّذِي يَبْصِرُ بِهِ، وَيَدِهِ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا

ورجله التي يمشي بها، وإن سألي لأعطيه ولكن استعذني لأعذنها^(١). فالأبرار أصحاب اليمين هم المقربون إليه تعالى بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويترون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحثات. وأما السابعون المقربون فتقربوا إليه تعالى بالتوافق بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم رب حباً تاماً وعصمهم من الذنوب واستجاب دعاءهم كما قال تعالى: (ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالتوافق حتى أحبه ..) إلى آخر ما ذكر في الحديث.

لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئة :

وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا هيئة على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

قال بعض الأئمة المصنفين في الأولياء: (ليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحثات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان مباحاً، ولا بخلق شعر أو تقصيره أو ضفريه إذا كان مباحاً. كما قيل لكم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفحور، في يوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع).

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢).

بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو :

وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قدرة على التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلى تعظيمهم أو صرف شيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي الله بل كذاب أفاك ولي للشيطان. والله تعالى أعلم.

الفصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : أشرطة الساعة وأنواعها.

المبحث الثاني : نعيم القبر وعذابه. وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك.

المطلب الثاني : وقوعه على الروح والجسد معاً.

المطلب الثالث : الإيمان بالملائكة منكر ونكر.

المبحث الثالث : الإيمان بالبعث. وفيه مطالب :

المطلب الأول : معنى البعث وحقيقةه.

المطلب الثاني : أدلة البعث من الكتاب والسنّة والنظر.

المطلب الثالث : الحوض صفتة وأدلة.

المطلب الرابع : الميزان صفتة وأدلة.

المطلب الخامس : الشفاعة تعريفها وأنواعها وأدلةها.

المطلب السادس : الصراط صفتة وأدلة.

المطلب السابع : الجنة والنار صفتهم وكيفية الإيمان

بهما وأدلة ذلك.

المبحث الأول

أشرات الساعات وأنواعها

تعريف أشرات الساعات :

الأشرات : جمع شرط وهو: العلامة. وقيل أشرات الشيء: أوائله. جاء في لسان العرب: والاشتقاق متقارب لأن علامة الشيء أوله. والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة. قال تعالى: **﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾** (الزخرف: ٨٥). والساعة من أشهر أسماء يوم القيمة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسمى ذلك اليوم بالساعة: لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشرات الساعات: علاماتها وأمارتها التي تقع قبل قيامها. قال تعالى: **﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَعْتَهُ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾** (محمد: ١٨).

أقسام أشرات الساعات :

أشرات الساعات وأمارتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت. منها بعثة الرسول ﷺ على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رض عن النبي ﷺ أنه قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين. وضم السباقة والوسطى)^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٥٠)، وصحیح مسلم برقم (٢٩٥١).

ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه، قال تعالى: **﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾** (القمر: ١).

ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصري على ما أخرج الشیخان من حديث أبي هريرة رض أن رسول الله صلی الله علیه وسَلَّمَ قال: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصري) ^(١). وقد خرجمت هذه النار على ما أخبر النبي صلی الله علیه وسَلَّمَ في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقى المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهل الشام ورأى أهل بصرى - وهي إحدى قرى دمشق -، أعناق الإبل في ضوئها كما أخبر النبي صلی الله علیه وسَلَّمَ.

القسم الثاني : الأمارات المتوسطة : وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

منها أن تلد الأمة ربتها ^(٢) وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان على ما جاء في حديث حبيل المشهور الذي أخرجه مسلم وقد تقدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه: (قال فأخربني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخربني عن أماراها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العاللة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) ^(٣).

(١) صحيح البخاري برقم (٧١١٨)، وصحیح مسلم برقم (٢٩٠٢).

(٢) أن تلد الأمة ربتها، الأمة المرأة المسلوكة، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر لولده.

(٣) صحيح مسلم برقم (٨).

ومنها خروج دجالين ثلاثة يدعون النبوة كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قرباً من ثلاثة كلهم يزعم أنه رسول الله) ^(١). وفي سنن أبي داود والترمذى من حديث ثوبان عن النبي ﷺ: (وإنه سيكون في أمي ثلاثة كذابون كلهم يزعم أنهنبي، وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي) ^(٢).

ومنها الخسارة الفرات عن جبل من ذهب يقتل الناس عليه على ما جاء في حديث أبي هريرة رض عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يخسر الفرات عن جبل من ذهب يقتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعين وتسعين ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو) ^(٣) وهذه العالمة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرى : وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت. وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسد قال: (اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذكرة، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنما لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صل، ويأجوج وmajog، وثلاثة خسوف: خسف بالشرق وخسف بالغرب وخسف بجزيرة العرب، وأخر ذلك نار تخرج من

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٠٩).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٢٥٢)، وسنن الترمذى برقم (٢٢١٩)، وقال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) رواه مسلم في الصحيح برقم (٢٨٩٤)، وبنحوه البخاري برقم (٧١١٩) وأحمد في المسند ٢٦١/٢.

اليمن تطرد الناس إلى محشرهم^(١). وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على ما سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى هي هذه الثلاث وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف فإها وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبل العشر العظمى، وهي مقدمة لها، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى من حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخسوف في الذكر على غيرها من العلامات حيث قال ﷺ: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات خسوف بالشرق وخشوف بالغرب وخشوف في جزيرة العرب والدخان والدجال ..)^(٢) ثم ذكر بقية العلامات. قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمان النبي ﷺ ذكره ابن وهب ...). وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلاً بأدلةها:

العلامة الأولى : خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما يخرج وقد ملئت الأرض جوراً وظلمة فيملؤها قسطاً وعدلاً يوافق اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم النبي ﷺ على ما روى أبو داود والترمذى من حديث عبدالله بن مسعود رض عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيته

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

بواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلمة^(١).

العلامة الثانية : ظهور المسيح الدجال : وهو رجل من بنى آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجرئ الله على يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعى الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج الدجال في أميتي فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ...) ^(٢) الحديث. وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهلها ثم ذكر الدجال فقال: (إني أنذركموه وما من نسي إلا قد أنذرته قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن سأقول لكم فيه قولان لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور) ^(٣).

العلامة الثالثة : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقضي على الدجال كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقول الله تعالى: **«وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلْسَّاعَةِ»** (الزخرف: ٦١)، وقد استدل بهذه الآية على

(١) سنن أبي داود ٣٠٦/٤ برقم (٤٢٨٢)، واللفظ له، وسنن الترمذى ٥٠٥/٤ برقم (٢٢٣٠)، وقال الترمذى حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٤٠).

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٠٥٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٩)، واللفظ للبخارى.

نَزَولُ عِيسَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَيَنْقُلُ هَذَا عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ عَلَى مَا أَخْرَجَ أَحْمَدَ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: (هُوَ خَرْوَجٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ^(١). كَمَا دَلَّتْ عَلَى نَزَولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ: فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشَكُنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيْكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكْمًا عَدْلًا فَيُكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيُقْتَلُ الْخَنْزِيرُ، وَيُضَعُ الْجَزِيرَةُ وَيُفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونُ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدِّنَيَا وَمَا فِيهَا) ^(٢).

العلامة الرابعة : خروج يأجوج و مأجوج : وَهُمْ خُلُقٌ كَثِيرٌ لَا يَدِينُ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ قِيلَ إِنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ يَافِثٍ مِنْ وَلَدِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ دَلَّ عَلَى خَرْوَجِهِمُ الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ. قَالَ تَعَالَى: **﴿ حَقَّ إِذَا فُتحَتْ يَأجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مَنْ كُلَّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هُرِكَ شَخْصٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾** (الأنبياء: ٩٦، ٩٧). وَأَخْرَجَ الشِّيخُخَانُ عَنْ زَيْنَبَ بْنَتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزَعَاهَا يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ فَتْحُ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ «وَحْلَقَ بِأَصْبَعِهِ إِلَهَامَ وَالِّي تَلِيهَا ..») ^(٣) الْحَدِيثُ.

العلامة الخامسة : هدم الكعبة و سلب حليها على يد ذي السويفتين من الحبشة كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكِ السُّنْنَةِ. فَقَدْ أَخْرَجَ الشِّيخُخَانُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي

(١) المسند: ١/٣١٨.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٢٢٢)، و صحيح مسلم برقم (١٥٥)، واللقطة لمسلم.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣٤٦)، و صحيح مسلم برقم (٢٨٨٠).

هريرة رض عن النبي صل قال: (يُخرب الكعبة ذو السويفتين من الحبشه)^(١). وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله صل يقول: (يُخرب الكعبة ذو السويفتين من الحبشه، ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها، ولكأنى أنظر إليه أصلع أفيض يضرب عليها بمسحاته ومعوله)^(٢).

العلامة السادسة : الدخان: وهو اباعث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْفِ السَّمَاءَ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الدخان: ١٠، ١١). ومن السنة حديث حذيفة بن أسد المتقدم عن النبي صل أنه قال: (إِنَّمَا تَرَوْنَ مِنْ دُخَانِهِ مَا يَرَوْنَ) رض (١). ومن السنة حديث حذيفة بن أسد المتقدم عن النبي صل أنه قال: (إِنَّمَا تَرَوْنَ مِنْ دُخَانِهِ مَا يَرَوْنَ) رض (٢). ومن السنة حديث حذيفة بن أسد المتقدم عن النبي صل أنه قال: (إِنَّمَا تَرَوْنَ مِنْ دُخَانِهِ مَا يَرَوْنَ) رض (٣). والدابة^(٤) الحديث.

العلامة السابعة : رفع القرآن من الأرض إلى السماء فلا يبقى منه آية في سطر ولا صدر إلا رفعت. وقد دلت على ذلك السنة فقد أخرج ابن ماجة والحاكم من حديث حذيفة عن النبي صل أنه قال: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك، وليس على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ...) رض (٤).

العلامة الثامنة : طلوع الشمس من مغربها. وقد دلت على هذه الآية

(١) صحيح البخاري برقم (١٥٩١)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٠٩).

(٢) المسند: ٢٢٠/٢.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

(٤) سنن ابن ماجة ٢/١٣٤٤، برقم (٤٠٤٩)، والمستدرك للحاكم ٤/٤٧٣ و قال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي..

النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيَّتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَنَهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانَهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام: ١٥٨). فقد ذهب جمٌ من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبرى بعد ذكره أقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها)^(١)، وروى الشیخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه وسَلَّمَ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)^(٢).

العلامة التاسعة : خروج الدابة: وهي مخلوق عظيم قيل إن طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات وقد دل الكتاب والسنة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجَنَاهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا إِيمَانَنَا لَا يُؤْقِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٢) . وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه وسَلَّمَ: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)^(٣) . وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه وسَلَّمَ قال: (خرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يغمرون فيكم حتى يشتري

(١) تفسير ابن حجر ر ج ٨/٩٧.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦)، وصحیح مسلم برقم (١٥٧).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٥٨).

الرجل البعير فيقول من اشتريته فيقول: من أحد المخطمين^(١) وقد صحي
سند الحديث الهيثمي وغيره من المحدثين.

العلامة العاشرة : خروج نار عظيمة تخرج من عدن تحشر الناس إلى
محشرهم وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة السنة
كما جاء في حديث حذيفة بن أسد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيه:
(وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)^(٢). وفي رواية من
حديث حذيفة (ونار تخرج من قعده عدن ترحل الناس).

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضت
قامت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متابعة كتابع
الحرز في النظام فإذا ظهرت إحداها بعثتها الأخرى. روى الطبراني في
الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (خروج الآيات بعضها على
إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الحرز في النظام)^(٣).

(١) المسند: ٥/٢٦٨.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٩٠١).

(٣) المعجم الأوسط: ٥/٤٨١، برقم (٤٢٨٣).

المبحث الثاني

نعميم القبر وعذابه

وبحث هذا الموضوع يتم من خلال ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بنعيم القبر وعذابه وأدلة ذلك :

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقا له من أهل المعصية والفحور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب على نعيم القبر قول الله تعالى: **﴿يُثِّبَتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الشَّافِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** (ابراهيم: ٢٧)، فدللت الآية على تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيم. أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: **﴿يُثِّبَتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الشَّافِتِ﴾**)^(١).

ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: **﴿وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا غُدُوا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُوا أَلَّا فِرْعَوْنَ أَشَدُ الْعَذَابِ﴾** (غافر: ٤٥، ٤٦)، قال القرطبي: (الجمهور على أن

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٦٩).

هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر). وقال الحافظ ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور) ^(١).

كما دل على عذاب القبر من القرآن أيضا قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبه: ١٠١)، فقد استدل بها كثير من السلف على عذاب القبر، فعن مجاهد أنه قال في تفسير الآية: (بالجوع وعذاب القبر، قال: «ثم يردون إلى عذاب عظيم» يوم القيمة). وعن قتادة قال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم)، وقد استدل بهذه الآية والتي قبلها على عذاب القبر الإمام البخاري في ترجمته للأحاديث في عذاب القبر ^(٢).

وأما ما جاء في السنة من الأدلة على نعيم القبر وعذابه فكثير جدا من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعده حتى يبعثك الله يوم القيمة) ^(٣). وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: (لولا أن لا تدافنوا للدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر) ^(٤). والأدلة على هذا كثيرة من الكتاب والسنة وقد ذكرت ما يستدل به في إثبات عذاب القبر ونعيمه، والله أعلم.

(١) تفسير ابن كثير ج ٧/١٣٦.

(٢) صحيح البخاري باب ما جاء في عذاب القبر، فتح الباري (٣/٢٣١).

(٣) صحيح البخاري برقم (١٣٧٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٦).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٨).

المطلب الثاني : وقوع نعيم القبر وعذابه على الروح والجسد معا :

نعم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جمِيعاً، فتنعم الروح أو تعذب متصلة بالبدن فيكون النعيم والعذاب عليهما جمِيعاً كما أنه قد تنعم الروح أو تعذب أحياناً منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفرداً عن البدن. وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعَة، خلافاً لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط على كل حال ولا يتعلَّق بالبدن.

فمن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُولِي عَنْهُ أَصْحَابَهُ وَإِنَّهُ لِيُسْمَعُ قَرْعَ نَعَالْمِ أَتَاهُ مَلْكَانٌ فِي قِعْدَانِهِ فَيَقُولُونَ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ (خَمْدَ) فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَيَقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعِدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلْتَ اللَّهَ بِهِ مَقْعِدًا مِنَ الْجَنَّةِ فِي رَاهِمِهِ جَمِيعاً. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتَ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا درِيتَ وَلَا تَلِيتَ، وَيَضَرِّبُ بِمَطَارِقِهِ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِحُّ صِحَّةً يَسْمَعُهَا مِنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ^(١). وفي حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدُ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ مَرْفُوعًا لِلنَّبِيِّ ﷺ قال بعد أن ذكر خروج الروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: (فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلْكَانٌ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٣٨).

فيجلسانه فيقولان له من ربك^(١) الحديث، وقد صحح هذا الحديث الحاكم وغيره.

فدل الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جيئا ففي قول النبي ﷺ: (إن العبد إذا وضع في القبر) دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (العبد) مسمى للروح والجسد جيئا، وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: (يسمع قرع نعاهم) (فيقعدانه)، (ويضرب بمطارق من حديد) (فيصيح صيحة)، فإن هذا كله يفيد أن ما يحصل في القبر من النعيم أو العذاب متعلق بالروح والجسد جميعهما.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قد يقع على الروح منفردة في بعض الأحوال على ما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجوف طير خضر ترد أهوار الجنة وتأكل من ثمارها وتاوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش)^(٢).

فتلخص من هذا أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعا في القبر وقد تنفرد الروح هذا أحيانا. قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة: (والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٢٨٧، وسنن أبي داود ٥/٧٥ برقم (٤٧٥٣)، والمستدرك: ٣٧-٣٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/٢٦٦، والحاكم في المستدرك ٢/٨٨، وصححه ووافقه الذهبي.

والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعقاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين كما يكون للروح منفردة عن البدن).

المطلب الثالث : الإيمان بالملكين منكر ونكير :

تقدم في مبحث الملائكة ذكر منكر ونكير وأهلهما الملائكة الموكلان بسؤال الميت في قبره في معرض الحديث عن وظائف الملائكة. والقصد هنا تقرير الإيمان بهما إيماناً مفصلاً وما يحصل منهما من فتنة المقيورين إذ تقرير هذا هنا فرع عن الإيمان بنعيم القبر وعذابه في الجحمة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وصف هذين الملائكة وسواهما أهل القبور بعد الدفن كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذى وابن حبان عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: (إذا قبر الميت أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذرعاً في سبعين..، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدرى: فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التعمي عليه فتلائم عليه فتحتارف أضلاعه فلا يزال فيها معدباً حتى يبعثه الله من موضعه ذلك^(١)). وقد دل على سؤال الملائكة أيضاً حديث أنس المتقدم في المطلب السابق.

(١) سنن الترمذى ٣٨٣/٣، برقم (١٠٧١)، وقال حديث حسن غريب والإحسان في تقرير صحيح ابن حبان: ٣٨٦/٧، برقم (٣١١٧).

فيجب الإيمان بما دلت عليه الأحاديث من اسم الملكين ووصفهما وسؤالمما المبوريين وكيفية ذلك وما يحيي به المؤمن وما يحيي به المنافق وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب على التفصيل الذي جاءت به الأحاديث.

وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهب لذلك البعض أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر من أهل العلم، والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عام في كل الأمم وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث الإيمان بالبعث

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين وهو مشتمل على جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص في هذا الباب، وسيكون بحثه هنا من خلال عدة مطالب تخلصي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به وما يجب على المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه:

المطلب الأول : معنى البعث وحقيقة :

البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُّوسَى﴾**، (الأعراف: ١٠٣)، أي: أرسلنا.

والثاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فشار، ومنه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ... الْآيَة﴾ (البقرة: ٥٦)، أي: أحيناكم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم. وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المثوّررين التي تخللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوّقهم إلى محشرهم لفصل القضاء. قال تعالى: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** (يس: ٧٩، ٧٨).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن رجلاً حضره الموت لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أوروا ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحونها فذرولي في اليم في يوم حار أو راح فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له)^(١).

فدللت الآية والأحاديث على أن الله تعالى يعيد الأجساد نفسها ويجمع رفاتها المتحلل حتى تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قادر.

وقد جاء في السنة بيان كيفية البعث وأن الله ينزل إلى الأرض ماءً فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشیعیان أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ما بين النفحتين أربعون) قال: أربعون يوماً. قال: أبیت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبیت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبیت، قال: (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلی إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيمة)^(٢). فقد دل هذا الحديث على كيفية البعث وأن أهل القبور ييقون في قبورهم أربعين بين النفحتين وهم نفحة الإمامه ونفحة البعث ولم يجزم الرواية بتحديد الأربعين ما هي وهل المراد أربعون يوماً أو شهراً أو سنة على أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة. ثم إذا أراد الله بعث الخلق أنزل مطراً من السماء. جاء في

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٧٩).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٥).

بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب بعد أن فت أجسادهم إلا عجب الذنب وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلى كما تقدم تقريره فتبين بهذا حقيقةبعث ووقته وكيفيته والله أعلم.

المطلب الثاني : أدلة البعث من الكتاب والسنة والنظر :
دل الكتاب والسنة على بعث الله تعالى للأموات وجاء تقريره في مواطن
كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فمن الكتاب قوله تعالى: « شَمَّ بَعْثَنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (البقرة: ٥٦)، وقوله عز وجل: « مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَنَّكُمْ إِلَّا كَنْفِسٍ وَرَحْدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَيِّعُ بَصِيرًا » (العنان: ٢٨)، وقوله تعالى: « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يَعْتَوْأْلُ بَلَى وَرَبِّي لَتَبْعَثُنَّنَا لِنَبْتُونَ بِمَا عَمِلْنَا وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (التغابن: ٧).

ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفح في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله قال: ثم ينفح فيه مرة أخرى فأكون أول من بعث أو في أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش ..). وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين: (فأكون أول من تنشق عنه الأرض). فدل الحديثان على بعث الله تعالى للأموات يوم القيمة من

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٣)، وغيرهما.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤١٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٧٨).

قبورهم إلى أرض المبشر وفيهما فضيلة للنبي ﷺ لكونه أول من يبعث.

كما دل النظر الصحيح على تقرير البعث وذلك أن البعث هو إعادة للخلق وعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه وهذا قال الله تعالى في كتابه مقرراً للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشأته الأولى وبأنه قادر على الابتداء قادر على الإعادة من باب أولى، فقال المعرض على البعث كما حكى الله عنه: **«مَنْ يُحْيِي الْعَظِيمَ وَهِيَ رَمِيمٌ»** (يس: ٧٨)، قال تعالى: **«فُلْيُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً»** (يس: ٧٩)، وقال تعالى: **«وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتُ عَلَيْهِ»** (الروم: ٢٧). فهذا دليل شرعي عقلي من كتاب الله للرد على كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يستطيع ردّه.

المطلب الثالث : الحشر :

دلت النصوص على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المبشر حفاة عراة غرلاً قال تعالى: **«وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا»** (الكهف: ٤٧)، وقال تعالى: **«يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْفَهَارِ»** (ابراهيم: ٤٨).

ومن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلاً^(١)) قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر

(١) غرلاً: غير مخترنن.

بعضهم إلى بعض)^(١).

وهذا الحشر عام لجميع الخلائق. وقد دلت النصوص أن هناك حشرًا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوafd هم القائمون الركبان. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشِرُ الْمُتَقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدَا﴾ (مريم: ٨٥).

أخرج الطبرى عن علي عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشِرُ الْمُتَقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدَا﴾ قال: (أما والله ما يحشر الوafd على أرجلهم، ولا يساقون سوقاً ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمنتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة)^(٢). وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عمياً وبكما وصماء. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَيِّلًا﴾ (الفرقان: ٣٤). قال تعالى: ﴿وَنَحْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبَكَمًا وَصَمَّا﴾ (الإسراء: ٩٧).

المطلب الرابع : الحوض، صفته وأدله :

الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في الحشر يرده هو وأمته. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلوج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد مأوه من الجنة، فيه ميزابان

(١) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٦٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٩).

(٢) تفسير الطبرى (٣٨٠/٨).

يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وأنيته كعدد نجوم السماء.

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة. ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر وروها عن النبي ﷺ بضعة وثلاثون صاحبأً. منها حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء) ^(١). وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: (حوضي مسيرة شهر وزوايده سواء ماؤه أبيض من اللبن، وريجه أطيب من المسك، وكما أنه كنحوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبداً) ^(٢).

والحوض يكون في أرض المبشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا ﷺ في الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوَافِرَ﴾ (الكوثر: ١). وقد اختلف أهل العلم في الميزان والوضوء أيهما يكون قبل الآخر فقيل الميزان قبل، وقيل: الوضوء. والصحيح أن الوضوء قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم.

المطلب الخامس : الميزان صفتة وأدلة :

ما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان. وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجع بمثقال ذرة من خير أو شر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنّة على ثبوت الميزان.

(١) متفق عليه، صحيح البخاري برقم (٦٥٨٠)، وصحیح مسلم برقم (٢٣٠٣).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري برقم (٦٥٧٩)، وصحیح مسلم برقم (٢٢٩٢).

قال تعالى: ﴿وَنَصَّعَ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا ظُلْمُ الْيَوْمَ نَفْسٌ شَيْئًا... الآية﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، * فَأُمَّهُ هَكَاوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٩-٦).

وأخرج الشیخان عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: (كلماتان حبستان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)^(١). وروى الإمام أحمد والحاكم وغيرهما عن ابن مسعود رض أنه تسلق أراكة وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكتؤه (أي تحركه) فضحك القوم فقال رسول الله ص: (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبی الله من دقة ساقيه. فقال: (والذی نفسي بيده هما أثقل في الميزان من أحد)^(٢) صاححة الحاكم ووافقة الذهبي.

والذی يوزن في الميزان ثلاثة، وقد دلت على ذلك النصوص :

١- الأعمال، فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في الميزان ودل عليه حديث أبي هريرة السابق: (كلماتان حبستان إلى الرحمن ...) الحديث.

٢- صحف الأعمال، وقد دل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ص قال: (إن الله سيخلص رجلاً من أمري على رؤوس الخلائق يوم القيمة، فينشر له تسعه وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتذكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبى الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبئت الرجل، فيقول:

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣)، وصحیح مسلم برقم (٢٦٩٤).

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٤٢١-٤٢٠، والمستدرک ٣/٣١٧.

لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات ونقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم^(١).

٣- العامل نفسه، وقد دل على وزنه قوله تعالى: **﴿فَلَأُنْقِيمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا﴾** (الكهف: ١٠٥)، وكذلك حديث عبد الله بن مسعود السابق وأن ساقيه في الميزان أثقل من أحد.

المطلب السادس : الشفاعة، تعريفها وأنواعها وأدلتها :

الشفاعة في اللغة: الوسيلة والطلب. وفي العرف: سؤال الخير للغير. والشفاعة عند الله: سؤال الله التحاوز عن الذنوب والآثام للغير. وحقيقة أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيمة لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهاراً لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:

أحدهما: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: **﴿مَنْ ذَا أَلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا يُذْنَبُهُ﴾** (البقرة: ٢٥٥). وقوله تعالى:

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سباء: ٢٣).

(١) أخرجه أحد في المسند ٢١٣/٢ وقوله (بسم الله) أي مع اسم الله، والترمذى في المسنن ٥/٢٤-٢٥، برقم (٢٦٣٩) والحاكم في المستدرك ١/٦، ٥٢٩ وصححه ووافقه النهري.

الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: **﴿وَلَا يَسْقُعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾** (الأنبياء: ٢٨). وقد دلت النصوص أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإن احتبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً^(١)). وقال تعالى في الكفار: **﴿فَأَنَّفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الْشَّفِيعَيْنَ﴾** (المدثر: ٤٨).

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنّة على إثبات الشفاعة عند الله يوم القيمة. أما الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها، وأما من السنّة فالآحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (.. فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط)^(٢).

والآحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جداً وقد صرّح الأئمة المحققون بتواترها واشتهرها في كتب الصحاح والمسانيد. ففي الصحيحين: (يُخرج من النار من كان في قلبه حبة من خردل من إيمان)^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٩٤/٣، وعبدالرازق في المصنف ٤١٠/١١ برقم (٢٠٨٥٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩) في حديث طويل، وصحيح مسلم برقم (١٨٤).

أقسام الشفاعة :

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، ومحبولة وهي ما تحقق فيها شروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي :

- ١- الشفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضى الله بينهم وهي المقام الحمود وهذه الشفاعة مما احتضن بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.
- ٢- شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.
- ٣- شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.
- ٤- شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة في الجنة.
- ٥- شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.
- ٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عنمن كان يستحقه كشفاعته في عمّه أبي طالب.
- ٧- شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.
- ٨- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته من دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها وهي مبسوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد. وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالشفاعة العظمى وشفاعته في عمّه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها ومنها ما يشار إلى فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى على اختلاف بين أهل العلم في

اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

المطلب السابع : الصراط، صفتة وأدلته :

الصراط في اللغة : الطريق الواضح.

وفي الشرع: حسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل الخشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنّة على إثبات الصراط.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَيْكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ أَتَقْوَى وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حَيَّا ﴾ (مريم: ٧٢، ٧١) ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رض وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله ص أنه قال: (.. ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكاللاب وحسكة مقلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بجدر يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق، وكالربيع وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكذوب في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا^(١)).

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدق من الشعر وأحد من السيف دحض مزلة لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله وأنه ينصب في ظلمة فيعطي الناس أنوارا على قدر إيمانهم ويرون فوقه على قدر

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٩)، وصحيغ مسلم برقم (١٨٣)، واللفظ للبخاري.

إمامهم على ما جاء في الحديث السابق.

المطلب الثامن : الجنة والنار، صفتهم وكيفية الإيمان بهما وأدلة ذلك :

ما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار.

والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَوَى ﴾ (النحل: ١٥-١٣)، والجنة مائة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)^(١). وأعلى الجنة الفردوس الأعلى وفوقه العرش ومنه تفجر أنهار الجنة كما جاء في حديث أبي هريرة السابق عن النبي ﷺ قال: (إذا سألتם الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة). وللجنة ثمانية أبواب كما جاء في حديث سهل بن سعد ^{رض} في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: (في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون)^(٢)، وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأما النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمرتكبين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مألهم إلى

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٧).

الجنة. كما قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾** (النساء: ٤٨) وموضعها في الأرض السابعة كذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهم. وللنار دركات بعضها أسفل من بعض، قال عبد الرحمن بن أسلم: (درجات الجنة تذهب علواً ودرجات النار تذهب سفولاً، وأسفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ... الْآيَة﴾** (النساء: ٤٥)، وللنار سبعة أبواب، قال تعالى: **﴿لِمَا سَبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** (الحجر: ٤٤)، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم على ما جاء في حديث أبي هريرة الذي أخرجه الشیخان عن النبي ﷺ قال: (ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم) ^(١).

والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

الأول : الاعتقاد الجازم بأهلهما حق وأن الجنة دار المتقين والنار دار الكافرين والمنافقين. قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا يَنْهَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِذُو الْعَذَابِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَنِّهَا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِنَّ فِيهَا أَبَدًا ... الْآيَة﴾** (النساء: ٥٦، ٥٧).

الثاني : اعتقاد وجودهما الآن. قال تعالى في الجنة: **﴿أَعْدَتِ الْمُتَّقِينَ﴾** (آل عمران: ١٣٣)، وقال تعالى في النار: **﴿أَعْدَتِ الْكَافِرِينَ﴾** (البقرة: ٢٤)، وجاء في الصحيحين من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء) ^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٨٧١).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٤١)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٣٨) مختبراً معناه، واللفظ للبخاري.

الثالث : اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفنيان ولا يفنى من فيهما.

قال تعالى في الجنة: **﴿خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (النساء: ١٣)،

وقال تعالى عن النار: **﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾** (الجن: ٢٣). والمقصود من المعصية هنا الكفر، لتأكيد الخلود في النار أبداً.

بالتأييد، قال القرطبي قوله (أبداً) دليل على أن العصيان هنا هو الشرك^(١).

وروى الشیخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (يدخل الله أهل الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه)^(٢).

ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها :

- ١- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
- ٢- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.
- ٣- استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلاً بعمله مع رحمته بعباده.

(١) القرطبي ٢٧ / ١٩. وفتح القدير ٥ / ٢٠٧.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٤٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٠)، واللقطة لمسلم.

الفصل الخامس :
الإيمان بالقضاء والقدر، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع
بيان الفرق بينهما.

المبحث الثاني : مراتب القدر.

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما

تعريف القضاء والقدر :

القضاء لغة : الحكم والفصل.

وشرع : هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

والقدر : مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحاطت بمقداره.

والقدر في الشرع : هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك.

الفرق بين القضاء والقدر :

ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشيء قبل قيامه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفرق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضاء

والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما ~~منزلة~~
الأساس وهو القدر، والآخر ~~منزلة~~ البناء وهو القضاء فمن رام الفصل
بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما
معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلك
بعض أهل العلم.

الأدلة على إثبات القدر :

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان وقد دلت الأدلة من الكتاب
والسنة على إثباته وتقريره.

فمن الكتاب قول الله تعالى : **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾** (القمر: ٤٩)،
وقوله تعالى : **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾** (الأحزاب: ٣٨)، وقوله تعالى :
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدْرٍ وَنَفَّذَهُ﴾ (الفرقان: ٢).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها
حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن أركان الإيمان فذكر منها: (الإيمان
بالقدر حيره وشره) وقد تقدم الحديث بنصه في مبحث الملائكة. وروى
مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمما قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخالق قبل أن يخلق
السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وكان عرشه على الماء)^(١).

والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم. أخرج مسلم
في صحيحه عن طاوس أنه قال: (أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣).

يقولون كل شيء بقدر). قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز)^(١)، والكيس: ضد العجز وهو النشاط والخذق بالأمور. قال الإمام النووي: (تظاهرة الأدلة القطعية من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٥).

المبحث الثاني مراتب القدر

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقررها أهل العلم. وهي :

المرتبة الأولى : علم الله بكل شيءٍ من الموجودات والمعدومات والمكانات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿لَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : (سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين) ^(١).

المرتبة الثانية : كتابة الله تعالى لكل شيءٍ ما هو كائنٌ إلى قيام الساعة. قال تعالى: « أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (الحج: ٧٠). وقال تعالى: « وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَصْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّتَّبِعٍ » (بٰيْسٰ: ١٢). ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المتقدم في كتابة الله مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثالثة : المشيئه فإن ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن. قال تعالى: **«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»** (بٰس: ٨٢). وقال تعالى: **«وَمَا شَاءَ مِنْ أَنْ يَشَاءُ إِلَّا أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»** (التكوير: ٢٩). وأخرج

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٨٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٩).

الشیخان من حديث أبي هريرة رض عن النبي صلی الله علیه و آله و سلّم قال: (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليزعم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له) ^(١).

المرتبة الرابعة : خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكنه. قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢). وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات: ٩٦). وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي صلی الله علیه و آله و سلّم: (.. كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض) ^(٢).

فيحب الإيمان بهذه المراتب الأربع لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئاً منها لم يحقق الإيمان بالقدر. والله تعالى أعلم.

ثمرات الإيمان بالقدر :

لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمن فمن ذلك:

- ١- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنّه مقدر الأسباب والسببات.
- ٢- راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره..

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٣٩)، وصحیح مسلم برقم (٢٦٧٩)، واللفظ مسلم.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣١٩١).

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكرر لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصير على ذلك ويختسب.

الباب الثالث

مسائل متفرقة في العقيدة

ويتضمن خمسة فصول :

الفصل الأول : الإسلام والإيمان والإحسان.

الفصل الثاني : الولاء والبراء، معناه وضوابطه.

الفصل الثالث : حقوق الصحابة وما يجب نحوهم.

الفصل الرابع : الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم
ولزوم جماعتهم.

الفصل الخامس : وجوب الاعتصام بالكتاب والسنّة والنهي
عن التفرق.

الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان

المبحث الأول : الإسلام.

المبحث الثاني : الإيمان.

المبحث الثالث : الإحسان.

المبحث الرابع : العلاقة بين الإسلام، والإيمان والإحسان.

المبحث الأول : الإسلام

تعريف الإسلام :

الإسلام لغة : الانقياد والاستسلام والخضوع.

وشرعًا : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عَبْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

أركان الإسلام :

أركان الإسلام خمسة بينها رسول الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله^(١)). ويدل على هذا حديث جبريل المقدم وفيه أنه قال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتصوم الزكاة، وتصوم رمضان وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت... إلخ^(٢)).

(١) صحيح البخاري، حديث برقم (٨) صحيح مسلم حديث برقم (١٦).

(٢) تقدم متفق عليه: صحيح البخاري حديث برقم (٨)، وصحيح مسلم حديث برقم (٨).

معنى الشهادتين :

- معنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي لا معبد بحق إلا الله.
- ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر به واجتناب ما نهى عنه وحذر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

المبحث الثاني : الإيمان وأركانه وبيان حكم مرتكب الكبيرة

تعريفه :

الإيمان لغة : التصديق والإقرار.

وشرعًا : اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

أركانه وأدلته :

أركان الإيمان ستة يدل عليها قول الله تعالى : **﴿لَيْسَ الَّذِي أَنْتُ بِهِ أَعْلَمُ وَلَوْلَا دُوَّبَتِكُمْ فِيَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالْتَّائِبَ﴾** (البقرة: ١٧٧).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عندما سأله النبي ﷺ وقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره). قال: صدقت... إله^(١).

زيادة الإيمان ونقاصه :

دل الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. فالدليل من الكتاب قول الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَى رَبُّهُمْ هُدَىٰ وَأَنَّهُمْ نَقْوِيهِمْ﴾** (محمد: ١٧). وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّ فُلُوْبَهُمْ وَإِذَا أُتْلِيَتْ عَلَيْهِمْ إِيمَانُهُمْ زَادَهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** (الأنفال: ٢).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري حديث برقم (٥٠)، وصحيف مسلم حديث برقم (٨).

وقال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السِّكِّينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَّا عَلِمُوا إِيمَانًا مَّا يَعْلَمُونَ﴾** (الفتح: ٤).

ومن السنة قوله **﴿يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِّنْ إِيمَانٍ﴾** ^(١). وكذلك قوله **﴿يَخْرُجُ مِنَ الْأَيْمَانِ بَضْعُ وَسَبْعُونَ شَعْبَةً أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ وَالْحَيَاةِ شَعْبَةٌ مِّنَ الْإِيمَانِ﴾** ^(٢).

حكم مرتكب الكبيرة :

كبار الذنوب نوعان: مُكْفَرٌ وغير مُكْفَرٌ. فأما المُكْفَرُ فهو الشرك بالله لأنَّه أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَّ بِهِ اللَّهُ وَالنَّفَاقُ الاعتقادي وَسَبَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَنَحْنُ ذَلِكَ.

والنوع الثاني كبار غير مُكْفَرٌ ولا يخرج مرتكبها من الملة إلا إذا استحللها. وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحو ذلك.

وقد دل الكتاب والسنَّة على أنَّ مرتكب الكبيرة غير المُكْفَرٌ مؤمن ناقص الإيمان، ويُسمى فاسقاً وعاصياً.

وحكمة في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمة وإن شاء عذبه بعدله وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عذب بل مآلَه إلى الجنة بما معه من التوحيد والإيمان. قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ وَمَنِ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾** (السَّاءَة: ١١٦).

(١) صحيح البخاري حديث برقم (٧٥١٠) صحيح مسلم حديث برقم (١٩٣).

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (٥٧).

وفي الصحيحين من حديث أنس رض عن النبي صل أنه قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)^(١).

وهذا الذي دلت عليه النصوص هنا هو الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعיהם على الخير والهدى في حكم مرتکب الكبيرة وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخوارج قدماً وحديناً الذين يكفرون مرتکب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمه ويعتقدون أنه يوم القيمة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتکب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان ولا يفرقون بين مرتکب الكبيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدى الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهب غلاة المرجئة.

الأدلة على أن مرتکب الكبيرة ليس بكافر :

دل القرآن والسنة على أن مرتکب الكبيرة ليس بكافر.

فمن القرآن قوله تعالى: **﴿فَإِنْ طَابَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا إِنْهُمْ مَا فِي إِنْ بَعْثَتْ إِلَّا حَدَّنَهُمْ عَلَى الْأُخْرَى فَقَتَلُوا الَّتِي تَبَغِي حَقَّيْ تَفْعِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَأَمَّا تْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** (الحرات: ١٠٩). ووجه الدلالة من الآيتين هو أن الله أثبت الإيمان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٩٢).

بعض الطوائف على بعض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة وأمر تعالى المؤمنين
بالإصلاح بين إخوئهم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رض أن رسول الله ص قال: (يدخل أهل الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ..)^(١).

ووجه الدلالة من الحديث هو عدم تحليد مرتكبي الكبائر في النار حيث يخرج منها من كان في قلبه أدنى شيء من الإيمان كما يدل الحديث على تفاوت أهل الإيمان على حسب أعمالهم وأنه يزيد وينقص بحسب ما يترك المؤمن من واجبات أو يرتكب من محظورات.

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان بباب الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم ١٨٤ .

المبحث الثالث : الإحسان

تعريفه :

الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة على الفرائض والنواقل واجتناب المحرمات والمكرورات. والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافرون في فضائل الأعمال

أداته :

من الكتاب قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**

(التحل: ١٢٨).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه سأله النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ^(١).

(١) تقدم تخرّجه ص ١١٣.

المبحث الرابع

العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان

جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جibrيل ومجيئه إلى النبي ﷺ وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمال الظاهرة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسان بمراقبة الله في السر والعلانية، فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك.

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحد منها معنى خاص، فيقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة ويقصد بالإيمان الأمور الغيبية. ويقصد بالإحسان أعلى درجات الدين وإذا انفرد الإسلام دخل فيه الإيمان وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام وإذا انفرد الإحسان دخل فيه الإسلام والإيمان.

الفصل الثاني: الولاء والبراء: معناه وضوابطه

التعريف :

الولاء : مصدرولي. بمعنى قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراء : مصدر بري، بمعنى قطع. ومنه بري القلم. بمعنى قطعه. والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يجدهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد :

يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويعغضهم ويتيأر منهم. قال تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِذَا يُقْسِمُونَ الْأَصْلَوَةَ وَيُؤْتُونَ الْزَكَوَةَ وَهُمْ رَكِعُونَ * وَمَنْ يَتُولَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلَبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦، ٥٥). وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَفْلَامَهُمْ أَوْلَامَهُمْ أَوْلَامَهُمْ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١). وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ يُوَادِعُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْكَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْرَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما يتبع عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

مكانة الولاء والبراء في الدين :

إن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرى الإيمان. ومعناه توثيق عرى الحجۃ والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله) ^(١).

الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء :

المداهنة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاشي والكفار ومعاشرهم وهم على معاصيهم أو كفراهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعالى: **﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِ دَوَّعِيسَى ابْنِ مَرِيمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَسْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لِيُنْسَى مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** (السائدة: ٧٨ - ٨٠).

المداراة : هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له. كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتاج إلى تأليفه. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة)، فلما جلس تطلق النبي ﷺ

(١) رواه الطبراني في الكبير (١١/٢١٥)، والبغوي في شرح السنة (٣/٤٢٩)، بسنده حسن.

في وجهه وابسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تلقت في وجهه وابسطت إليه. فقال ﷺ: (يا عائشة متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس ابقاء شره) ^(١): فالنبي ﷺ دارى هذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل على أن المداراة لا تتنافى مع المولاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتحفيقه، وهذا من مناهج الدعوة إلى الله تعالى. ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفاً لهم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

نماذج من الولاء والبراء :

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: **«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرِءٌ مِّمَّا فِي أَنْفُسِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفُرْتُ بِكُمْ وَبِدِيَّنَا وَبِنِنْكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضُ أَمْبَدَاحَتِي تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»** (المتحنة: ٤). وقال تعالى في مسوalaة الأنصار لإخواهم المهاجرين: **«وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتَوْنَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»** (الحشر: ٩).

٦٠٣٢) برقم البخاري صحيح (١).

حكم موالة العصاة والمبتدعين :

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وببدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاذة والعقاب بحسب ما فيه من الشر. فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقه ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية :

دللت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة والضرورة على أن يكون ذلك في نطاق ضيق وأن لا يضر بالإسلام وال المسلمين. (فقد استأجر النبي ﷺ عبد الله بن أرقط هادياً خرّيّتاً^(١)). والخرّيّت هو الخبير بمعرفة الطريق.

ورهن النبي ﷺ درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجر على ﷺ نفسه ليهودية يمتح لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلواً كل دلو بتمرة. وقد استعان النبي ﷺ باليهود الذين كانوا في المدينة في قتال المشركين. واستعان بخزاعة ضد كفار قريش. وهذا كله لا يؤثر على الولاء والبراء في الله على أن يتلزم الكفار الذين يقيمون بين المسلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلى دينهم.

(١) صحيح البخاري حديث رقم (٢٢٦٣).

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المبحث الأول : من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم.

المبحث الثاني : وجوب اعتقاد فضلهم وعذالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية.

المبحث الثالث : أهل بيت النبي ﷺ وحقوقهم وبيان أن زوجاته من أهل بيته.

المبحث الرابع : الخلفاء الراشدون، فضلهم وما يجب نحوهم وترتيبهم.

المبحث الخامس : العشرة المبشرون بالجنة.

المبحث الأول

من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم

تعريف الصحابي :

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على ذلك.

وجوب محبتهم وموالاتهم :

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزع لهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الدين كله لأنهم وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضاً طرياً عن رسول الله ﷺ مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا فدخل الناس في دين الله أفواجاً.

وقد دل الكتاب والسنّة على وجوب موالة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبه: ٧١). وإذا كان أصحاب النبي ﷺ مقطوعاً

يأيأهُمْ بِلَهُمْ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَرْكِيَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَهُمْ فَإِنْ مَوَالَاهُمْ وَمُحْبَّتُهُمْ دَلِيلٌ إِيمَانٌ مِنْ قَامَتْ بِهِ هَذِهِ الصَّفَةِ.

وَمِنَ السَّنَةِ حَدِيثُ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النُّفَاقِ بِغُصُّ الْأَنْصَارِ) ^(١).

وَالنَّصْوَصُ فِي هَذَا كَثِيرٌ جَدًّا لَا يَسْعُ الْمَقَامُ ذِكْرُهَا عَلَى أَنَّهُ يَحْسَنُ التَّبَيِّنَهُ هُنَّا عَلَى مَا يَتَرَبَّ عَلَى مَوَالَاهُ الصَّحَابَةِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَثَارِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا يَشَحِّذُهُمْ عَلَى تَحْقِيقِ مَوَالَاهِمْ.

فَمِنْ آثَارِ مَوَالَاهِمِ الطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحُ وَالْغَلْبَةُ وَالنَّصْرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ تَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَلَيْبُونَ ﴾ (الْمَائِدَةَ: ٥٦). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: (كُلُّ مَنْ رَضِيَ بِوَلَايَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ مُفْلِحٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمُنْصُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

وَمِنْ ثَمَارِ مَحْبَّتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مَا يُرْجَى لِمُحْبَّبِهِمْ مِنَ الْخَشْرِ مَعْهُمْ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ ^{رض} قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ^{صل} فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحِقْ بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^{صل}: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) ^(٢).

وَلَذَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ^{صل} يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِمَحْبَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَيَعْدُونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِهِمْ وَأَرْجَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ. رَوَى الْإِمَامُ الْبَخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ^{رض} أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيِّ ^{صل} عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَنِ السَّاعَةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ^{صل}: (وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا). قَالَ: لَا شَيْءٌ إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ^{صل}: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتْ)، فَقَالَ أَنَسٌ: فَمَا

(١) صحيح البخاري برقم (١٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (٦١٦٨).

فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت. قال أنس: (فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)^(١).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٨).

المبحث الثاني

وجوب اعتقاد فضالهم وعدالتهم

والكاف عما شجرو بيدهم في ضوء الأدلة الشرعية

فضلهم :

لقد أثني الله تعالى على الصحابة ورضي عنهم ووعدهم الحسنى. كما قال تعالى: **﴿وَالسَّيِّقُونَ أَلَّا وَلَوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُمْ يَأْخُسِنُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَدَلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (التوبه: ١٠٠). وقال تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْتِيُونَكُمْ تَحْتَ السَّجَرَةِ﴾** (الفتح: ١٨). وقال تعالى: **﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَفَقَّعُونَ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَرَضِيُّونَا وَنَصَرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْاصْدِقُونَ * وَالَّذِينَ بَوَءُوا وَالَّذَارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْبِّونَ مِنْ هَاجَرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَمَّا أُوتُوا وَيُؤْتَوْنَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَاصَّةٌ وَمَنْ يُوَقَّعْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوْنَ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا حَوْنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِإِيمَانٍ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ أَمْنَوْا رَبَّنَا إِنَّا رَءُوفُ رَّحِيمٌ﴾** (المحشر: ٨-١٠).

فقد دلت الآيات الكريمة على فضل الصحابة والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان الذين بسايعوا تحت الشجرة وكل من حصل على شرف الصحابة. ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأهتم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالى ألا يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا.

كما تضمنت الآيات وغيرها مما لا يمكن حصره من الستراري عنهم

وبشارقهم بالجنة وحصو لهم على الفوز العظيم ومدحهم وذكر بعض صفاتهم من الحب والإيثار والكرم والجود وحب إخوافهم المسلمين ونصرهم لدين الله ونحو ذلك من الأوصاف العظيمة والذكر الجميل ما هم أهل له.

وقد أثني عليهم رسول الله ﷺ بأحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (لا يدخل النار أحدٌ بائع تحت الشجرة)^(١). وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل جميع الصحابة وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفراد بخصوصهم.

فالواجب على المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعاً، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكل جميل، والاقتداء بهم والسير على منهجهم.

وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم :

عرفنا أن أصحاب رسول الله ﷺ هم الصفة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا ﷺ، فهم السابقون إلى الإسلام وهم أعلام المهدى ومصابيح الدجى، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاءً حسناً في السندود عن حياض الإسلام حتى مكن الله لهذا الدين في الأرض على أيديهم. فمن تنقصهم أو سبهم أو نال من أحد منهم فهو من شر الخليقة، لأن عمله هذا اعتداء على الدين كله. ومن كفرهم أو اعتقاد ردهم فهو أولى بالكفر والردة وإنه مهما عمل أحدٌ بعدهم من عمل فإنه لن يبلغ شيئاً من فضلهم.

فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما

(١) صحيح مسلم حديث برقم (٢٤٩٦).

أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه^(١). فقد دل الحديث على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ والتأكيد على أنه لن يبلغ أحد مبلغهم مهما قدم من عمل. فالواجب على المسلمين اعتقاد عدالتهم والترضي عنهم والكف عن شجر بينهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم من خلاف وترك سرائرهم إلى الله تعالى. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فلنطهر ألسنتنا من أعراضهم).

وخلاصة القول أن أهل السنة يوالون الصحابة كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب. فإن ذلك كله من البغي الذي هو بجاوزة الحد.

(١) صحيح البخاري حديث برقم (٣٦٧٣) ومسلم كتاب الفضائل حديث رقم (٢٥٤١، ٢٥٤٠).

المبحث الثالث

أهل بيت النبي ﷺ

التعريف بأهل البيت :

أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة. وهم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ.

أدلة فضل أهل البيت :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وقال ﷺ: (أذْكُر كم الله في أهل بيتي) ^(١).

دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت :

قال تعالى: ﴿ يَنْسَاءُ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَقْتَيْتَنَّ فَلَا تَخْضُنَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ، مَرْضٌ وَقُلْنَانٌ فَوْلَانٌ مَعْرُوفًا * وَقَرْنَانٌ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبْرُجْ تَبْرُجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الْأَصْلَوَةَ وَأَتَيْتَ الرَّكْوَةَ وَأَطْعَنَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا * وَأَذْكُرْنَ مَا يُسْتَلِّي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٢-٣٤). قال الإمام ابن كثير رحمه الله : (ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داولات في قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ﴾).

(١) صحيح مسلم حديث برقم (٢٤٠٨).

فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله: **﴿وَأَذْكُرْنَكَ مَا يُشَاءُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ إِيمَانِهِنَّ اللَّهُ وَالْحِكْمَةُ﴾**، أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة. قال قتادة وغير واحد: (واذْكُرْنَهُنَّ مِنْ إِيمَانِهِنَّ اللَّهُ وَالْحِكْمَةُ) (١).

الوصية بأهل البيت :

تقدّم حديث (أذْكُرْكُمُ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي). فأهل السنة يحبونهم ويكرّمونهم ويحفظون فيهم وصيّة رسول الله ﷺ لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه وذلك بشرط أن يكونوا متبّعين للسنة مستقيمين على الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه. أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولّون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرّؤون من خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإنّ كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا ينفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله. فقد روى أبو هريرة رض قال: قام رسول الله ﷺ حين أُنْزِلَ عَلَيْهِ **﴿وَأَنِّيْرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** (الشعراء: ٢١٤). فقال: (يا معاشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا صفيّة عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليّني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً) (٢). ول الحديث: (من بطا

(١) تفسير ابن كثير / ٤١١ / ٦.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٧١). ومسلم برقم (٤٠٤).

به عمله لم يسرع به نسبه^(١). معنى من بطاً: أي من تأخر.
ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون
لهم العصمة. ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون
فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذين يتولون بأهل البيت
ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعقول والصراط المستقيم
الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩).

المبحث الرابع الخلفاء الراشدون

التعريف بالخلفاء الراشدين :

الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو التورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم.

مكانهم ووجوب اتباعهم :

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول ﷺ باتباعهم، والتمسك بهديهم. كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية عليهما السلام الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: (أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ثم مسكوناً بها وعضاونا عليها بالتواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله) ^(١).

فضلهم :

أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. وقد ورد في فضل كل

(١) رواه أحمد (٤/١٢٩-١٢٧)، والترمذى (٧/٤٣٨) بسنده صحيح.

واحد منهم أحاديث كثيرة نور دحبياً واحداً منها لكل واحد منهم: فمما جاء في فضل أبي بكر رض ما ثبت في الصحيحين أن النبي ص قال على منبره: (لو كنت متخدناً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أباً بكر خليلاً لا يقين في المسجد خوحة إلا سدت إلا خوحة أبي بكر) ^(١). وما جاء في فضل عمر رض ما ثبت في الصحيحين أن النبي ص كان يقول: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر ابن الخطاب منهم) ^(٢). ومعنى محدثون: مُلهمون.

ومما جاء في فضل عثمان رض، حديث عائشة الطويل الذي قال فيه: (دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وعندما رأه الرسول جلس وسوى ثيابه فسألته عائشة فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) ^(٣).

ومما جاء في فضل علي رض ما رواه الشیخان عن سهل بن سعد رض أن النبي ص قال عشية خیر: (لأعطین الرایة غداً رجلاً یحب الله ورسوله، ویحبه الله ورسوله یفتح الله على يديه ... فقال: ادعوا لي علياً ... فدفع الرایة إليه ففتح الله عليه) ^(٤).

(١) صحيح البخاري برقم (٣٦٥٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٨٩). ومسلم برقم (٢٣٩٨).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٤٠١).

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٧٠٢). ومسلم برقم (٢٤٠٥).

المبحث الخامس العشرة المبشرون بالجنة

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأئمهم جميعاً عدول، وأئمهم يتفاصلون في الصحابة. وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلاًً وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

وقد جاءت في فضلهم أحاديث عامة ومنهم من جاء فيه حديث بخصوصه. ومن الأحاديث العامة في فضلهم ما رواه أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأنس رضي الله عنه عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أني سمعته وهو يقول: (عشرة في الجنة، النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة)، ولو شئت لسميت العاشر. قال: فقالوا: من هو؟ فسكت قال: فقالوا: من هو؟ فقال: (هو سعيد بن زيد رضي الله عنه)^(١).

وقد بشر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبدالله بن

(١) رواه أحمد (١٨٨/١)، وأصحاب السنن بسند صحيح.

مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محسن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير. وأهل السنة والجماعة ينصون على من ورد النص من العصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ﷺ له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعده الله لهم جميعاً بالجنة كما قال تعالى بعد ذكر الصحابة وبيان فضل بعضهم على بعض ﴿ وَكُلُّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ (النساء: ٩٥). والحسنى هي الجنة. كما أن مذهب أهل السنة في عموم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجون للمحسنين الثواب ويخافون على المسيئين العقاب مع القطع لمن مات على التوحيد بعدم تخليله في النار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء: ١١٦).

الفصل الرابع :

الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم

روى مسلم عن أبي رقية تميم الداري رض أن النبي ص قال: (الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: من يا رسول الله؟ قال: الله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم^(١)).

فالنصيحة لله : إفراده تعالى بالعبادة وتعظيمه وخوفه ورجاؤه ومحبته وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله ص، تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بجديه ومحبته، وألا نعبد الله إلا وفق ما جاء به ص.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتهـم وطاعـتهم في حدود طاعة الله تعالى.

وأما النصيحة لامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونفيهم عن المنكر، وحب الخير لهم كما نحب لأنفسنا وبذل الخير لهم ومساعدتهم بقدر ما نستطيع.

(١) صحيح مسلم برقم (٥٥).

الواجب نحو ولادة الأمور :

لقد دل الكتاب والسنّة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لملحق في معصية الخالق. كما تجحب الصلاة خلفه، والحج والجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المصالح الخاصة. كما تجحب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعاته وعدم الخروج عليه.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولادة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة).

والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنّة، فمن الكتاب قوله تعالى:

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

ومن السنّة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)^(١). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٣٧).

يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة^(١).

والسنة أن تُبذل النصيحة للإمام سرًّا بعيداً عن الإثارة والتهويل يدل لذلك ما رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن عياض بن غنم رض قال: قال رسول الله ص: (من أراد أن ينصح لذى سلطان فلا يده علانية، وليأخذ بيده فإن سمع منه فذاك، وإلا أدى الذي عليه)^(٢).

هذه النصوص من القرآن والسنة كلها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمور في غير معصية الله تعالى. ويمكن أن نستخلص منها ما يأتي :

١- أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.

٢- عدم الخروج على ولادة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

٣- أن من نصح لولادة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ من الذنب.

٤- النهي عن إثارة الفتنة وأسباب إثارتها.

٥- عدم الخروج على الولادة ما لم يظهر منهم الكفر البوح أي الظاهر الذي لا يحتمل التأويل.

٦- وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسرون على هدى الكتاب والسنة قولًا وعملاً واعتقادًا وموالاتهم واتباع سبيلهم والحرص على جمع كلمتهم على الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم. كما قال تعالى: « وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَهُ »

(١) صحيح البخاري برقم (٧١٤٤).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٥٠٧) بسنده صحيح.

سَيِّلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولَّهُ مَاتَوْلَى وَنُصْلِهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿النساء: ١١٥﴾). وقال رسول الله ﷺ: (عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار)^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شيئاً فمات فميتته جاهلية)^(٢).

فدللت هذه النصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعة الأمر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك. إذ أن الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

(١) الترمذى برقم (٢١٦٧)، السنة لابن أبي عاصم برقم (٨٠).

(٢) صحيح البخارى برقم (٧١٤٣).

**الفصل الخامس:
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة
وأدلة وجوبه
وفيه ثلاثة مباحث**

المبحث الأول : معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه.

المبحث الثاني : التحذير من البدع.

المبحث الثالث : ذم التفرق والاختلاف.

المبحث الأول

معنى الاعتصام بالكتاب والسنّة وأدلة وجوبه

لقد أمر الله الأمة بالاجتماع والتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنّة، وهي عن التفرق وبين خطورته على الأمة في الدارين. ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكم إلى كتاب الله تعالى في الأصول والفروع وهيئنا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإنهما حصن حصن وحرز متين لمن وفقه الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَاعْصَمُوا بِحَمْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا وَإِذْ كُرِّبُوا يَعْمَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّذِينَ قُلُوبُكُمْ فَاصْبَحَتْهُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاعَ حُرْفَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْفَدْتُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَيَّتِيَهُ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنّة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة وهي عن التفرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِرَسُولِي فَحَذِّرُهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ أَنْهَوْا ﴾

(الحشر: ٧). وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة. وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تخل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحد ولا

عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. قال تعالى : **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَأْتُمُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّوْا عَنْهُ وَإِنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾** (الأفال: ٢٠).

فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ونجزهم عن مخالفته والتتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قال : **﴿ وَلَا تَوَلُّوْا عَنْهُ﴾** أي تركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى : **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا مَأْتُمُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنْزَعُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْمٌ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾** (النساء: ٥٩).

قال الحافظ ابن كثير : (أطاعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطاعوا الرسول أي خذوا سنته، وأولي الأمر منكم أي فيما أمركم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لخلوق في معصية الله). قوله **﴿ فَإِنْ تَنْزَعُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْمٌ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾**. قال مجاهد : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى : **﴿ وَمَا أَخْتَلَفَتْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾** (الشورى: ١٠). فما حكم به الكتاب والسنة وشهادا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولهذا قال تعالى : **﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾** ، أي ردوا الفصل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة ومن لا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا اليوم الآخر. قوله **﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾** ، أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير **﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾** ، أي وأحسن عاقبة ومآلًا كما قال السدي وقال مجاهد : (وأحسن

جزاء وهو قريب^(١). وفي كتاب الله آيات كثيرة وردت في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنّة والرجوع إليهما في كل الأمور.

وأما الأدلة من السنّة على وجوب التمسك بالكتاب والسنّة فمنها ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (إن الله يرضي لكم ثلاثة ويسخط لكم ثلاثة، يرضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جمِعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكم ثلاثة، قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٢). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنّتي)^(٣). وقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعد إلا هالك)^(٤). وجاء في حديث العرباض بن سارية قوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها واعضوا عليها بالنواجد)^(٥).

وقد بشر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه المتسكين بسته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى إلى تحقيقه من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة. جاءت هذه البشرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٤/٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧١٥).

(٣) رواه مالك في الموطأ (٨٩٩/٢).

(٤) سنن ابن ماجه (١٦/١) المقدمة. وصحيح ابن ماجه للألباني (١/٦).

(٥) سنن أبي داود (١٣/٥) والترمذى مع تحفة الأحوذى (٤٢٨/٧).

أبي^(١). وأي إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفته أمره؟ وذلك بالإحداث والابتداع في الدين.

وعلوّم أن الفرقة الناجية هي التي كانت على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهي الجماعة. قال أبي بن كعب رضي الله عنه: (عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسّه النار أبداً وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهد في خلاف سبيل وسنة).

(١) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٠).

المبحث الثاني التغيير من البدع

تعريف البدعة :

البدعة لغة : هي الاختراع على غير مثال سابق ومن ذلك قول الله تعالى: **﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** أي مخترعهما. وشرعأً : ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

خطر البدع :

إن البدع والحداثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة على الفرد والمجتمع بل وعلى الدين كله أصوله وفروعه. فالبدع: إحداث في الدين، وقول على الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله، والبدعة سبب في عدم قبول العمل وتفرق الأمة، والمتبع يحمل وزره ووزر من تبعه في بدعته، كما أن البدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ. فعن سهل بن سعد الأنصاري، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أنا فرطكم على الحوض من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لا يظمأ أبداً. ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعروفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم من أمتى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك. فأقول: سحقاً لمن غيري بعدي^(١)). والفرط: الذي يسبق إلى الماء. وسحقاً: أي بعدها.

والبدعة تشويه للدين، وتحريف لمعالمه. والخلاصة أن البدعة خطر عظيم على المسلمين في أمر دينهم ودنياهم.

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٨٣) ورقم (٦٥٨٤). وصحیح مسلم برقم (٢٢٩٠).

أسباب البدعة :

للبدع أسباب كثيرة أعظمها بعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلى الجهل بمصادر التشريع. ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد على العقل المجرد وجلساء السوء، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدة على بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة.

خطر البدع :

من تأمل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدين محمرة ومردودة على أصحابها من غير فرق بين بيعة وأخرى، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد على وجه واحد في قول النبي ﷺ: (إياكم ومحديث الأمور فإن كل محدثة بيعة وكل بيعة ضلاله)^(١). وقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٢). فدل الحديث على أن كل محدث في الدين فهو بيعة، وكل بيعة ضلاله مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محمرة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها، وتقدم الذبائح والذئور لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصلوة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد التي لم ترد في الشرع، والأذكار المبتدة والتبتل والصيام قائما في الشمس.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٣٥/١)، والدارمي في السنن (٧٨/١)، والحاكم في المستدرك (٣١٨/٢) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٩٧). و صحيح مسلم برقم (١٧١٨).

المبحث الثالث

ذم التفرق والاختلاف

الأدلة على ذم التفرق :

لقد ذم الله التفرق ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه. وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنّة التي تحذر من التفرق والاختلاف وتبين سوء عاقبته وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسوء الوجه في الآخرة. قال تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ فَإِنَّمَا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَذُوو الْعَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ أَيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِي هَاخِلَدُونَ﴾** (آل عمران: ١٠٥-١٠٧).

قال ابن عباس: (تبين وجوه أهل السنّة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة).

وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا يُشَيَّعُوا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** (آل عمران: ١٠٩).

فقد دلت الآيات على ذم التفرق وخطورته على الأمة في الدنيا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وسبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنّة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختلاف والتحث على الجماعة والائتلاف فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قام فينا فقال: (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة. وإن هذه الأمة ستتفرق على ثلات وسبعين ملة اثنستان وسبعين في النار وواحدة في الجنة

وهي الجماعة^(١). فقد أخبر النبي ﷺ بافترق أمته على ثلات وسبعين فرقة، اثنان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ، إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا ثم يؤول إلى الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط. وعلى كل حال فإن الفرقة والاختلاف لابد من وقوعهما في الأمة والرسول ﷺ يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة.

الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة :

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لاسيما الاختلاف في الكتاب المنزل عليهم. قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: (أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم)، لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله ﷺ. فأفاد ذلك شيئاً: أحدهما : تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والخذر من مشاهمتهم. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَرَأَلِ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦). وقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَعْلَمُ بَعْيَانَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٩).

ومن السنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واحتلافهم على أنبيائهم

(١) رواه أحمد (٤/١٥٢). وأبو داود (٥/٥) وغيرهما بسنده صحيح.

فإذا همْتُمْ عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتُمْ بأمر فأنتمْ منه ما استطعتمْ^(١). فقد أمرهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمنوا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرسل بالعصبية أي بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

هل الاختلاف رحمة :

يدعى بعض الناس أن الاختلاف رحمة اعتماداً على حديث موضوع: (اختلاف أمني رحمة). وهذا القول مردود بالكتاب والسنة والعقل. وقد ذكرنا بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذم الاختلاف والتفريق. وفي ذلك كفاية لمن تدبر وتأمل.

بل قد دل القرآن على أن الاختلاف لا يتفق مع الرحمة بل هو ضدها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرَأُونَ مُخْلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩). والحديث الذي استدل به أصحاب هذه الدعوى باطل ولا يصح بحال، ولا يوجد في شيء من كتب السنة. وهذا كافٍ في بطلان هذه الدعوى، يضاف إلى ذلك مخالفته للعقل، فإنه لا يتصور عاقل أن الاختلاف رحمة، بعدما عرفنا المفاسد الخطيرة الناتجة عنه من التشاحن والتباغض والتهاجر بل وربما القتال والمحروب التي كثيرة ما ثارت بين الناس بسبب الاختلاف، حتى في بعض مسائل الفروع.

طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف :

ومن المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة. والجماعة

(١) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨). صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ﷺ وأصحابه لا يعدلون عن ذلك ولا يحيدون عنه يميناً أو شمالاً.

قال الشاطئ رحمه الله في الاعتصام: (إن الجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان). فطريق الخلاص هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة قوله واعملأ واعتقاداً، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُؤْلَمَ مَاتَوْلَىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنِعِّمُوا أَسْبُلَ فَنَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنْقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣). وفي السنة ما رواه الترمذى وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ قال: (لا تجتمع أمتى على ضلاله - أو قال: أمة محمد على ضلاله - ويد الله على الجماعة) ^(١).

وبهذا نختتم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتاب الله تعالى، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتهي الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدين لعقيدة الإسلام وشريعته. فرأى منهج جانب هذا الطريق فإنه منهج حاسر، فالتمسك بالسنة هو سبيل المؤمنين، وطريق الوصول إلى مرضاه رب العالمين، والحسن الحسين، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من بدع المبتدعين واتحالف المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين. وهو الطريق الذي صلحت به أحوال

(١) رواه الترمذى (٤٦٦/٤)، وغيره بسنده صحيح.

الأمة في صدر الإسلام، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرجوع إليه. يقول إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وما صلح به أولها هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما ينبغي على المسلم في هذا الجانب أن يكون العمل بالكتاب والسنة مقيداً بفهم السلف الصالح ومن هجهم لقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلَّهُ مَا تَوَلََّ وَنُصَلَّهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء ١١٥)

فاتباع سبيل المؤمنين وهو الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان هو سبيل النجاة نسأل الله تعالى أن يوفق الأمة الإسلامية للتمسك بكتاب ربها وسنة نبیها ﷺ واتباع سبيل المؤمنين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبینا محمد وعلى آله وصحبه أجمعین.

فهرس م الموضوعات الكتاب

١	مقدمة معالي الوزير
٣	المقدمة.....
٧	تمهيد.....
٩	الباب الأول: الإيمان بالله
١١	الفصل الأول: توحيد الربوبية وفيه مباحث
١١	المبحث الأول: معناه وأدلة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.....
١٥	المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.....
١٩	المبحث الثالث: مظاهر الالحاد في توحيد الربوبية.....
٢١	الفصل الثاني: توحيد الألوهية وفيه مباحث
٢٣	المبحث الأول: أدلة، وبيان أهميتها
٢٩	المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطلب
٣٥	المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد
٥٧	المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما وفيه مطلب
٥٨	المطلب الأول: الشرك:
٦١	الشرك الأكبر، تعريفه وحكمه وبيان أنواعه
٦٣	الشرك الأصغر، تعريفه وحكمه وبيان أنواعه
٦٤	الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر.....
٦٥	المطلب الثاني: الكفر.....

٦٥	تعريفه
٦٥	أنواعه
٦٥	الكفر الأكبر وبيان أنواعه
٦٧	الكفر الأصغر وأمثلته
٦٩	المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به
الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:	
٧٥	التمهيد: الإيمان بالأسماء والصفات وأثر ذلك في سلوك المسلم
٧٦	المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلة
٧٧	المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات
٨٣	المبحث الثالث: قواعد في باب الأسماء والصفات
٩١ ٩٧ الباب الثاني: بقية أركان الإيمان، وفيه خمسة فصول:
الفصل الأول: الإيمان بالملائكة، ويشتمل على ثلاثة مباحث:	
٩٧	المبحث الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقهم، وصفاتهم، وخصائصهم
٩٩	المبحث الثاني: منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته وأدلة ذلك
١٠٥	المبحث الثالث: وظائف الملائكة
الفصل الثاني: الإيمان بالكتب المنزلة، وفيه تمهيد وأربعة مباحث:	
١٢١	تمهيد: في تعريف الوحي لغة وشرعًا وبيان أنواعه
١٢٣	المبحث الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلة
١٢٧	المبحث الثاني: كيفية الإيمان بالكتب
١٣١	المبحث الثالث: بيان أن التوراة والإنجيل وغيرهما دخلها التعريف وسلامة القرآن من ذلك
١٣٩	المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن وخصائصه
الفصل الثالث: الإيمان بالرسل، ويحتوي على أحد عشر مبحثاً :	
١٥١	المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسل وأدلة
١٥٣	المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما
١٥٧ ٣٠٦

١٥٩	المبحث الثالث: كيفية الإيمان بالرسول
١٦٣	المبحث الرابع: ما يجب علينا نحو الرسول
١٦٧	المبحث الخامس: أولو العزم من الرسل
١٦٩	المبحث السادس: خصائص نبينا محمد ﷺ وحقوقه على أمته
١٨٣	المبحث السابع: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده
١٨٧	المبحث الثامن: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأداته
١٩٣	المبحث التاسع: القول في حياة الأنبياء عليهم السلام
١٩٩	المبحث العاشر: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء
٢٠٥	المبحث الحادي عشر: الولي والولاية في الإسلام
٢٠٩	الفصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر
٢١١	المبحث الأول: أشرطة الساعة وأنواعها
٢٢١	المبحث الثاني: نعيم القبر وعذابه
٢٢٧	المبحث الثالث: الإيمان بالبعث
٢٤١	الفصل الخامس : الإيمان بالقضاء والقدر، ويشتمل على مبحثين :
٢٤٣	المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر
٢٤٧	المبحث الثاني: مراتب القدر
٢٥١	الباب الثالث: مسائل متفرقة في الحقيقة، ويتضمن خمسة فصول: ..
٢٥٣	الفصل الأول: الإسلام والإيمان والإحسان
٢٥٥	المبحث الأول : الإسلام
٢٥٧	المبحث الثاني : الإيمان وأركانه وبيان حكم مرتکب الكبيرة
٢٦١	المبحث الثالث : الإحسان
٢٦٣	المبحث الرابع: العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان
٢٦٥	الفصل الثاني: الولاء والبراء : معناه وضوابطه

الفصل الثالث: حقوق الصحابة وما يحب نحومهم، وفيه مباحث	٢٦٩
المبحث الأول: من هم الصحابة ووجوب محبتهم وموالاتهم	٢٧١
المبحث الثاني: وجوب اعتقاد فضليهم وعدالتهم والكف عما شجر بينهم في ضوء الأدلة الشرعية	٢٧٥
المبحث الثالث: أهل بيت النبي ﷺ	٢٧٩
المبحث الرابع: الخلفاء الراشدون	٢٨٣
المبحث الخامس: العشرة المبشرون بالجنة	٢٨٥
الفصل الرابع : الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم	٢٨٧
الفصل الخامس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه، وفيه مباحث	٢٩١
المبحث الأول: معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه	٢٩٣
المبحث الثاني: التحذير من البدع	٢٩٧
المبحث الثالث: ذم التفرق والاختلاف	٢٩٩
فهرس موضوعات الكتاب	٣٠٥

إِنَّ وَزَارَةَ الشُّرُورِ لِلْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ لِلْكَعْوَدِ وَالْإِرْشَادِ

فِي الْمَلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

الْمُشَفَّةُ عَلَىِ الْمُجَمَعِ الْمَلَائِكِ فَهُدِيٌّ

لِطَبَاعَةِ الْمُصَحَّفِ الشَّرِيفِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

إِذَا سُرُّهَا أَنْ يُصَدِّرَ الْمُجَمَعُ الْطَّبَعَةَ الْأُولَى

لِكِتَابِ أُصُولِ الْإِيمَانِ فِي ضَوْءِ الْكَحَابِ وَالشَّتَّةِ

سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ عُمُومُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَجْزِي

خَادِمَ الْجَمِيعِينَ الشَّرِيفَيْنِ الْمَلِكَ فَهْدَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ الْسُّعُودَ

أَحْسَنَ الْجَزَاءَ عَلَى جُهُودِهِ الْعَظِيمَةِ فِي نَشْرِ كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ

وَشَرْكِتِ الْعِلْمِ الَّتِي تَفْعُلُ الْمُسْلِمِينَ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُرَيَّاهُمْ

وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ
